## بغية الكمال في شرح حديث أفضل الأعمال

# التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٩٩ السنة الخمسون - ذو القعدة ١٤٤٢ هـ
الثمن ٥ جنيهات

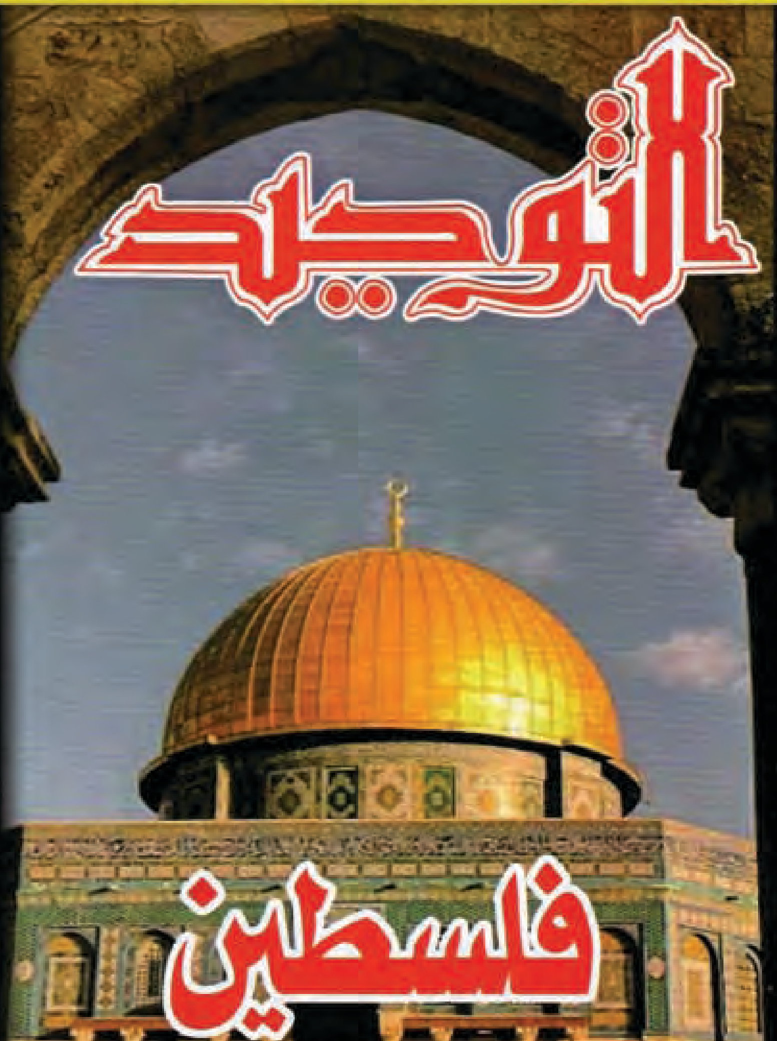

## فلسطين ترفعُ الرّؤوس في حرْبِ البَسُوس

- إرشاد الناسك إلى أحكام المناسك
- أسباب وبواعث علو الهمة
- السنة النبوية بين الحقيقة ومزاعم التجليد

## أثر الأوبئة في أداء مناسك الحج

* * *

## نظرات شرعية حول سد النهضة

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة
**أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي**

المشرف العام
**د. عبد العظيم بدوي**

مستشار التحرير
**جمال سعد حاتم**

نائب المشرف العام
**أ. د. مرزوق محمد مرزوق**

اللجنة العلمية
**د. جمال عبد الرحمن**
**معاوية محمد هيكل**
**د. محمد عبد العزيز السيد**

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولارًا أو ٢٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما

## السلام عليكم

## بشرى من سيد البشر

لقد أوحى الله تعالى إلى النبي محمد عليه الصلاة والسلام ببشارات من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل عن أهل مصر التي لم يزرها النبي يوما من الأيام، ولقد تحققت تلك البشارات بعد وفاته عليه السلام، وعلى أهل مصر أن يعرفوا المكانة التي بوأهم الله إياها، والشرف العظيم الذي خصهم به، إنهم بلفظ النبي عليه الصلاة والسلام عدة وأعوان وقوة وبلاغ لأهل الإسلام في سبيل الله، ضد أعداء الله بإذن الله.

فقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهَ اللَّهَ فِي قِبْطِ مِصْرَ فَإِنَّكُمْ سَتَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَكُونُونَ لَكُمْ عِدَّةً، وَأَعْوَانًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ». المعجم الكبير للطبراني، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح٣١١٣.

وقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَقْدَمُونَ عَلَى قَوْمٍ، جُعْدٍ رُءُوسُهُمْ، فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ قُوَّةٌ لَكُمْ، وَبَلَاغٌ إِلَى عَدُوِّكُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ». - يَعْنِي قِبْطَ مِصْرَ. مسند أبي يعلى، ورجاله ثقات.

ولقد شهد الواقع والتاريخ بهذا كله، إلى يومنا هذا، فمصر تواجه وتتحمل ما لا يتحمله بلد آخر، وهي بعد هذا كله عزيزة منيعة منتصرة، فاللهم احفظها وزدها قوة إلى قوتها، وانصرها على عدوك وعدوها.

**التحرير**

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٨ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٨ سنة كاملة

# فهرس العدد

تكريم الإسلام للمرأة: د. عبد الله شاكر ٢
تفسير سورة العنكبوت: د. عبد العظيم بدوي ٥
العدوان على فلسطين: د. أيمن خليل ٨
اسجد واقترب: د. ياسر لمعي ١٢
دراسات قرآنية: مصطفى البصراتي ١٤
بغية الكمال بشرح حديث أفضل الأعمال: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
أحكام متعلقة بفقه النكاح: د. عزة محمد ٢١
السنة النبوية بين الحقيقة ومزاعم التجديد: د. عبد الوارث عثمان ٢٤
أثر الأوبئة في أداء مناسك الحج: د. محمد عبد العزيز ٢٨
إرشاد الناسك إلى أحكام المناسك: معاوية محمد هيكل ٣٢
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
نظرات شرعية حول سد النهضة: د. متولي البراجيلي ٣٨
فلسطين ترفع الرؤوس في حرب البسوس: د. عماد عيسى ٤٢
صلاة المسافر: د. حمدي طه ٤٥
العبر وديوان المبتدأ والخبر: محمد محمود ٤٨
مشكلات زوجية وحلول: د. جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
الاستعداد لرحلة الحج والعمرة: صلاح نجيب الدق ٦٢
أسباب وبواعث علو الهمة: د. بندر بليلة ٦٠
شهر ذي القعدة أحداث وتاريخ: أحمد عز الدين ٦٤
شرف المؤمن: عبده أحمد الأقرع ٦٦
عبادة الله في النوم: صلاح عبد الخالق ٦٨
حكم من مات من أطفال المسلمين والمشركين: المستشار أحمد السيد علي إبراهيم ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
**جمعية أنصار السنة المحمدية**

رئيس التحرير:
**مصطفى خليل أبو المعاطي**

رئيس التحرير التنفيذي:
**حسين عطا القراط**

مدير التحرير
**إبراهيم رفعت أبو موته**

الإخراج الصحفي:
**أحمد رجب محمد**
**محمد محمود فتحي**

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧. فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو

**٩٢٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن.**

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

افتتاحية العدد

الحلقة الأولى

# تكريم الإسلام للمرأة

**الرئيس العام** د . عبد الله شاكر

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى أصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعد:**

**فقد تحدثت في اللقاء الماضي عن وضع المرأة قبل الإسلام، وبينت كيف كانت تعيش في الجاهلية حياة العبودية في المجتمعات البشرية، وفي هذا اللقاء أتحدث عن مكانة المرأة في الإسلام؛ فأقول وبالله التوفيق:**

إن المرأة المسلمة تبوأت في الإسلام مكانة عالية تحفظ لها كرامتها وإنسانيتها؛ فقد هيأ الإسلام للمرأة أسباب سعادتها، ورفع عنها كل إهانة لحقت بها عبر التاريخ، وتكفل لها بحياة كريمة فاضلة لتبقى طاهرة الخلق، مصونة عن موارد التهتك ومحمية عن أسباب الزيغ والانحلال، وهذه بعض ألوان تكريم الإسلام للمرأة:

## أولاً: المساواة الكاملة في الإنسانية:

فالمرأة أحد شقي الإنسانية، قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١)، وقد نصت الآية على مشاركة المرأة في بناء المجتمع الإنساني وأنها جزء من أجزائه قال ابن كثير رحمه الله: يقول الله تعالى آمرًا خلقه بتقواه، وهي عبادته وحده لا شريك له ، ومنبهًا لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة، وهي آدم عليه السلام ، وخلق منها زوجها، وهي حواء، وخلقت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم، فاستيقظ فرآها فأعجبته، فأنس إليها وأنست إليه، وقوله تعالى: «وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً» أي: وذرأ منهما أي: من آدم وحواء رجالاً كثيرًا ونساء، ونشرهم في أقطار الأرض على اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم. (تفسير ابن كثير: ج١، ص٦١٦).

كما أن المرأة شريكة الرجل في التناسل البشري كما قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» (الحجرات: ١٣)، وقد بينت الآية أن خلق بني آدم من أصل واحد وكلهم من ذكر وأنثى، وهم يرجعون إلى آدم وحواء، ولكن الله تبارك وتعالى جعلهم شعوبًا وقبائل ليحصل بينهم التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب. (انظر: تفسير السعدي: ج٧، ص١٣٨).

وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن النساء شقائق الرجال». (صحيح سنن أبي داود: ج١، ص٣٥).

قال ابن الأثير رحمه الله في معنى الحديث: أي: نظائرهم وأمثالهم في الأخلاق والطباع، كأنهن شُققن منهم، ولأن حواء خُلقت من آدم عليه السلام، وشقيق الرجل: أخوه لأبيه وأمه، ويجمع على أشقاء. (النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٢، ص٤٩٢).

### ثانيا: المساواة في أغلب التكاليف والأحكام الشرعية:

المرأة في الإسلام مخاطبة في الجملة بما خوطب به الرجل، والفروق بينهما يسيرة اقتضتها خصائص التكوين الجسدي والنفسي للمرأة؛ لأنها يعتريها فترات ضعف أثناء الحيض والنفاس، ومن هنا رفع عنها الشارع الحكيم بعض الأحكام، كوجوب الخروج لمقابلة الأعداء، وحضور صلاة الجماعة، وغير ذلك مما هو مقرر في كتب الفقه، ومع هذا فهي مشاركة للرجل في جميع خصال الخير والفضيلة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٥)، وقد ذكر ابن جرير بسنده عن قتادة أنه قال: دخل نساء على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقلن: قد ذكركن الله في القرآن، ولم نُذكر بشيء، أما فينا ما يُذكر؛ فأنزل الله تبارك وتعالى: «إنَّ المُسلمين والمُسلمات». (انظر: تفسير السعدي: ج٦، ص٢٢١).

كما أن المرأة في الإسلام مسؤولة كالرجل، ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته: الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها». (البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩)).

وهذا فيه تكريم كريم للمرأة، حيث جعلها الإسلام راعية، والراعي: هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره. (انظر: شرح النووي على مسلم: ج١٢، ص٢١٣).

كما أن التناصر في المجتمع الإسلامي والقيام بالأعباء الاجتماعية، ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشمل الرجال والنساء.

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١). كما حرّم الله إيذاء المؤمنات وجعلها في مثل ذلك كالرجل.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٨)، الآية توعدت من يؤذي المؤمن أو المؤمنة وينسب إليهما ما ليس فيهما بالعقوبة، ويدخل في ذلك دخولًا أوليًا الرافضة الذين سبُّوا الصحابة ونالوا من أمهات المؤمنين.

قال ابن كثير رحمه الله: «ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برّأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم، فإن الله عز وجل قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم». (تفسير ابن كثير: ج٣، ص٧٠٠).

كما أن المرأة في الإسلام لها أن تطلب العلم وتتعلم ما ينفعها في أمور دينها ودنياها، ومن هنا أباح الإسلام للمرأة حضور صلاة الجمعة وخُطبتها والعيدين، وقد طلبت النساء من النبي صلى الله عليه وسلم أن يُعلمهن؛ فاستجاب لهن، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: «ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابًا من النار، فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: واثنين». (صحيح البخاري: ١٠١).

وقد ثبت أن الشفاء بنت عبد الله القرشية علّمت أم المؤمنين حفصة الكتابة، وكان ذلك

بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، كما في المستدرك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للشفاء: «ارقيه وعلميها حفصة، كما علمتيها الكتاب». (مستدرك الحاكم: ج٤، ص٥٦. وقال عقبه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وقد ذكره الألباني وتوسع في تخريجه، وذكر من فوائده: مشروعية تعليم المرأة الكتابة).

ثم قال: والحق أن الكتابة والقراءة نعمة من نعم الله تبارك وتعالى على البشر، فلا ينبغي للآباء أن يحرموا بناتهم من تعلمها؛ شريطة العناية بتربيتهن على الأخلاق الإسلامية، كما هو الواجب عليهم بالنسبة لأولادهم الذكور أيضًا، فلا فرق في هذا بين الذكور والإناث، والأصل في ذلك أن كل ما وجب للذكور وجب للإناث، وما يجوز لهم جاز لهن ولا فرق، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما النساء شقائق الرجال». (انظر: السلسلة الصحيحة: ١/٢٨٩-٢٩٧).

**ثالثًا: المساواة في الجزاء في الآخرة:**

المرأة تشارك الرجل في أعمال الخير وتُثاب على الأعمال الصالحة وتنال من الأجر ما يناله الرجل دون تفرقة. قال تعالى: «وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا» (النساء: ١٢٤).

وقد نصت الآية على أن الأنثى كالذكر في قبول الأعمال الصالحة وأنهم جميعًا سيدخلون الجنة بفضل الله ورحمته، كما أن الله تعالى وعد كل مؤمن أن عمل صالحًا أن يُحييه في الدنيا حياة طيبة وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة. قال تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (النحل: ٩٧).

**رابعًا: أباح الإسلام للمرأة حق الاكتساب والتملك:**

قال تعالى: «وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ» (النساء: ٣٢)، ومع هذا أوجب الإسلام على الرجل النفقة على زوجته، وإن كانت غنية، قال تعالى: «لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا» (الطلاق: ٧).

**خامسًا: أمر الإسلام الرجل أن يعاشر زوجته بالمعروف:**

كما قال تعالى: «وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا» (النساء: ١٩)، قال ابن كثير: أي طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي». (تفسير ابن كثير: ج١، ص٦٤٠).

وقال تعالى: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ» (البقرة: ٢٢٨)، قال الدكتور: عبد العظيم بدوي حفظه الله: «وهذه الكلمة على أنها جمعت ما لا يُؤَدَّى بالتفصيل إلا في سفر كبير، فهي قاعدة كليَّة ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق إلا أمرًا واحدًا عبر الله تعالى عنه بقوله: «وللرَجال عليْهنَ درَجَـةٌ»». (انظر: كتابه «الأسرة السعيدة»: ص٨٥).

قلت: المراد بهذه الدرجة درجة القوامة التي نص الله تعالى عليها في قوله: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ» (النساء: ٣٤)، وفي هذا مزيد عناية بالمرأة؛ حيث أسند القرآن إدارة شؤون البيت للرجل، لأنه أقدر على تحمل المسؤولية، وفي هذا تخفيف عن المرأة ومراعاة لظروفها وطبيعتها.

وختامًا أقول: إن الذي يتتبع تكريم الإسلام للمرأة سيجد الكثير من ذلك: أن الله أعطى المرأة حق المشورة والإذن في زواجها، كما قيَّد تعدُّد الزوجات بأربع بشرط أنه كما أنقذ المرأة المتوفى عنها زوجها من حداد الجاهلية الذي كان يمتد عامًا كاملًا، كما نهى الزوج عن إمساك زوجه ضرارًا للاعتداء عليها، ويضيق المقام عن تتبع ألوان تكريم الإسلام للمرأة، وفيه قول الطاعنين على الإسلام بأنه ظلمها أو انتقص حقها. والله الهادي إلى سواء السبيل.

# سُورَةُ العَنكَبُوتِ

## الحلقة الثالثة

قال الله تعالى:

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ⑩ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ⑪ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ⑫ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ⑬ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ⑭ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ⑮»

(العنكبوت: ١٠- ١٥).

إعداد **د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

### حالُ بعضِ النّاس في الفتن:

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ» (العنكبوت: ١٠):

يَقُولُ تَعَالَى: إنَّ من الَّذين قَالوا آمنَّا بأفواههم، مَنْ إذا أُوذِيَ بسَبب إيمانه، واضْطهدَ وعُذِّب، «جعل فتنة النَّاس كعذاب الله» أيْ تَرك الإيمان وانْصرف عنْه، كما ترك الصَّادقون الكُفر وانصرفوا عنه خوْفًا منْ عذاب الله. فالله تعالى جعل عذابه صارفًا للنَّاس عن الكُفر إلى الإيمان، كما قال تعالى عنْ أهل النَّار: «لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ» (الزمر: ١٦)، فعذابُ الله صرف الصَّادقين عن الكُفر إلى الإيمان، ولذلك توسَّلوا إلى الله بالإيمان أنْ يُنْجيَهم من النِّيران، كما قال تعالى: «الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» (آل عمران: ١٦). وغيرُ الصَّادقين، والَّذين لمْ تُخالط بشاشةُ الإيمان قلوبَهُم، صرفهُمْ عذابُ النَّاس عن الإيمان.

قال الرَّازيُّ عفا الله عنْه: جعلوا فتنة النَّاس مع ضعْفها وانْقطاعها كعذاب الله الأليم الدَّائم حتَّى تردَّدُوا في الأمْر، وقالوا إن آمنَّا نتعرَّض للتَّأذِّي من النَّاس، وإنْ تركْنا الإيمان نتعرَّضْ لما توعَّدنا به مُحمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، واختاروا الاحتراز عن التَّأذِّي العاجل، ولا يكونُ التَّردُّدُ إلا عند التَّساوي، ومنْ أيْن إلى أيْنَ! تعْذيبُ النَّاس لا يكونُ

شديدًا، ولا يكون مديدًا، لأنَّ العذاب إنْ كان شديدًا كعذاب النار وغيره يموت الإنسان في الحال فلا يدوم التعذيب، وإنْ كان مديدًا كالحبس والحصر لا يكون شديدًا وعذابُ الله شديد، وزمانه مديد. وأيضا عذابُ الناس له دافع، وعذابُ الله ماله من دافع. وأيضا عذابُ الناس عليه ثوابٌ عظيمٌ، وعذابُ الله بعده عذابٌ أليمٌ، والمشقة إذا كانت مُستعقبة للراحة العظيمة تطيب ولا تُعدُّ عذابًا، كما تُقطعُ السلعة المؤذية ولا تُعدُّ عذابًا. (التفسير الكبير ٢٥/٣٩. والسلعة: غُدَّة تظهر بين الجلد واللحم، إذا غمزت باليد تحركت. كذا في لسان العرب ٨/١٦٠).

«وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ» (العنكبوت: ١٠) أيْ فاجعلوا لنَا نصيبًا ممَّا أفاءَ الله عليكُمْ، كما قال تعالى: «الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ» (النساء: ١٤١)، وقال تعالى: «وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا» (النساء: ٧٢، ٧٣). قال تعالى: «أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ» ؟! (العنكبوت: ١٠) بلى. فقولُهُمْ «إنَّا كنَّا معكُمْ» لا يُغْني عنهُمْ من الله شيْئًا، لأنَّهُمْ كانوا مع المؤمنين فيما يبدو للنّاس، ولم يكونوا مؤمنين حقًّا، كما قال تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» (البقرة: ٨- ١٠)، وقال تعالى: «يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ» (آل عمران: ١٦٧).

وقولُهُ تعالى: «وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ» (العنكبوت: ١١) سبق الكلامُ عليه في أوّل السُّورة، عند قوله تعالى: «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» (العنكبوت: ٣).

## خطأ المفتين الذين يزعمون أنهم يتحملون خطايا المستفتين:

«وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتَّبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكُمْ وما هم بحاملين من خطاياهم من شيْءٍ إنَّهُمْ لكاذبون ١٢ وليحملنَّ أثقالهُمْ وأثقالًا مع أثقالهمْ وليُسألُنَّ يوم القيامة عمَّا كانوا يفترون»:

قال ابنُ كثير رحمهُ الله: يقول تعالى مخبرا عنْ كفار قريش أنهمْ قالوا: لمنْ آمن منهُمْ واتَّبع الهُدى: ارجعوا عنْ دينكُمْ إلى ديننا، و«اتَّبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكُمْ» أيْ: آثامكُمْ، إنْ كانتْ لكُمْ آثامٌ في ذلك علينا وفي رقابنا، كما يقول القائل: افعلْ هذا وخطيئتك في رقبتي، قال الله تعالى تكذيبًا لهُمْ: «وما هُم بحاملين منْ خطاياهُم منْ شيْءٍ إنَّهُمْ لكاذبون» أيْ: فيما قالوهُ إنَّهُمْ يحتملون عنْ أولئك خطاياهُمْ، فإنَّهُ لا يحمل أحدٌ وزر أحدٍ، قال الله تعالى: «وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ» (فاطر١٨).

وقوْلُهُ تعالى: «وليحملنَّ أثقالهُمْ وأثقالًا مع أثقالهمْ» إخبارٌ عن الدُّعاة إلى الكُفْر والضَّلالة، أنَّهُمْ يحْملون يوْم القيامة أوْزار أنْفُسهمْ وأوْزارًا أُخر بسبب ما أضلُّوا من النَّاس منْ غيْر أنْ ينْقُص منْ أوْزار أولئك شيْئًا، كما قال تعالى: «لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ» (النحل: ٢٥).

وفي الصَّحيح: «منْ دعا إلى هُدًى كان لهُ من الأجر مثْل أُجور منْ اتَّبعهُ إلى يوْم القيامة، منْ غيْر أنْ ينْقُص

مِنْ أُجورهِمْ شيْئًا، ومَنْ دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتّبعه إلى يوْم القيامة، منْ غيْر أنْ ينْقص منْ آثامهمْ شيْئًا» (صحيح مسلم ٢٦٧٤).

وفي الصّحيح أيْضًا: «ما منْ نفْس تُقْتلُ ظُلْمًا إلاّ كان على ابْن آدم كفْلٌ منْ دمها وذلك لأنّه أوّلُ منْ أسنّ القتْل». (صحيح البخاري: ٣٣٣٥) (تفسير القرآن العظيم: ٣/٤٠٦).

قال المُفسّرون: ويدْخُلُ في الآية الظّالمون، فإنّهُمْ يوْمَ القيامة يُؤْمَرُون بردّ المظالم، فإنْ لمْ تفِ حسناتُهُمْ بما عليْهِمْ، حُمّلُوا منْ أوْزار المظْلُومين، كما في الصّحيح عنْ أبي هُريْرة رضي الله عنه أنّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدْرُون من المُفْلسُ؟». قالوا: المُفْلسُ فينا منْ لا دِرْهم لهُ ولا متاع. فقال: «إنّ المُفْلسَ منْ أُمّتي يأْتي يوْمَ القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأْتي قدْ شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعْطى هذا منْ حسناته، وهذا منْ حسناته، فإنْ فنيتْ حسناتُهُ قبْل أنْ يُقْضى ما عليْه أُخذ منْ خطاياهُمْ فطُرحتْ عليْه ثُمّ طُرح في النّار» (صحيح مسلم ٢٥٨١).

وقوْلُهُ تعالى: «وليُسْألُنّ يوْمَ القيامة عمّا كانُوا يفْترُون» أيْ يكْذبُون ويخْتلقُون من البُهْتان (تفسير القرآن العظيم: ٣/٤٠٦).

## قصص الأنبياء:

لمّا ذكر اللهُ تعالى أنّ الابْتلاء للتّمْحيص سُنّةٌ كوْنيّةٌ، وكان الصّحابةُ قدْ لقُوا منْ قوْمهمْ كثيرًا من الأذى والتّعْذيب، أتْبع ذلك بذكْر طرفٍ منْ قصص الأنْبياء على سبيل الإجْمال ليكُون في قصصهمْ عبْرةٌ للمُؤْمنين، فيصْبرُوا ويحْتسبُوا، ويعْلمُوا أنّ العاقبة لهُمْ كما كانتْ للمُؤْمنين منْ قبْلهمْ.

وبدأ سُبْحانهُ بقصّة نُوح عليه السّلام، وهُو أوّلُ رسُول بعثهُ اللهُ إلى أهْل الأرْض، وأطْولُ الأنْبياء في سنيّ الدّعْوة، وأجْمل سُبْحانهُ وتعالى هذا الجهاد العظيم، والتّاريخ الطّويل في آيتيْن اثْنتيْن:

قصّةُ نوح عليه السلام:

«ولقدْ أرْسلْنا نُوحًا إلى قوْمه فلبث فيهمْ ألْف سنةٍ إلا خمْسين عامًا فأخذهُمُ الطُّوفانُ وهُمْ ظالمُون ١٤ فأنْجيْناهُ وأصْحاب السّفينة وجعلْناها آيةً للعالمين»:

يقُولُ تعالى: «كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ» (البقرة٢١٣)، وفي الكلام محْذُوفٌ دلّ عليْه المنْطُوق، وهُو: «كان النّاسُ أُمّةً واحدةً» فاختلفوا، «فبعث الله النّبيّين مُبشّرين ومُنْذرين»، وكان أوّلهُمْ نُوحٌ عليه السلام: عن ابْن عبّاس رضي الله عنه قال: كان بيْن نُوح، وآدم، عشْرةُ قُرُون، كُلُّهُمْ على شريعة من الحقّ، فاخْتلفُوا، «فبعث اللهُ النّبيّين مُبشّرين ومُنْذرين» قال: وكذلك هي في قراءة عبْد الله: «كان النّاسُ أُمّةً واحدةً فاخْتلفوا» (جامع البيان: ٢/٣٣٤).

وقدْ بذل نُوحٌ عليه السلام جُهْدًا كبيرًا في دعْوة قوْمه خلال ألْف سنة، «وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ» (هود: ٤٠).

أمّا المــلأُ منْ قوْمه فقدْ عقدُوا مُؤْتمرات، وخرجُوا منْها بتوْصيات، «وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا» (نوح: ٢٣)، «فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ» (القمر: ١٠- ١٤).

وفي هذا النّبأ الوجيز بشارةٌ للنّبيّ صلى الله عليه وسلم والمُؤْمنين، وإنْذارٌ للكافرين المصرّين.

وللحديث صلة، والحمد لله رب العالمين.

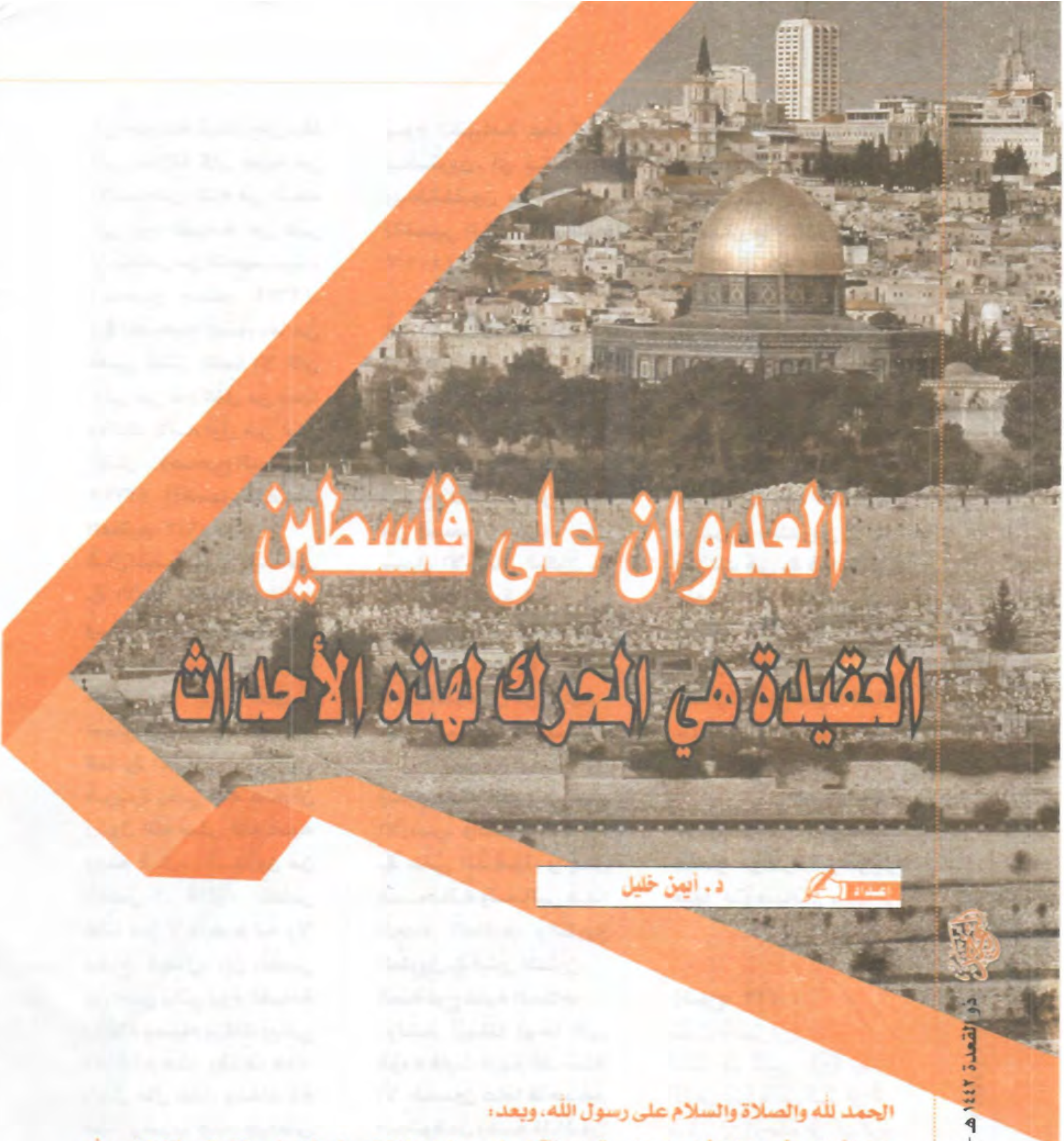

# العدوان على فلسطين

## العقيدة هي المحرك لهذه الأحداث

إعداد د. أيمن خليل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإذا تأملنا الأحداث الأخيرة التي وقعت في آخر شهر مضان ١٤٤٢هـ الموافق مايو ٢٠٢١م، فإننا نجد أن العدوان الذي وقع من الكيان الغاصب على أهل فلسطين تحركه العقائد الدينية، وذلك أن الصهاينة وضعوا مخططًا لغصب أراضي الفلسطينيين ومساكنهم بحي الشيخ جراح والكائن بالقدس الشرقية، لتطويق المسجد الأقصى، والذي يقومون بالتنقيب تحته منذ ستين سنة بحثًا عن هيكل سليمان المزعوم، والذي يعرف بـ "بيت همقدش" أي "البيت المقدس"، وهو أحد الأماكن المقدسة لدى اليهود، وهو المعبد اليهودي الأول في القدس الذي بناه - بزعمهم - سليمان عليه السلام، وشارك في بنائه مائة وثمانون ألف عامل، وبه مئات الكيلو جرامات من الذهب والفضة.

وقد زعموا أن نبوخذ نصر الثاني "بختنصر" ملك بابل دمر الهيكل بعد حصار القدس سنة ٥٨٧ قبل الميلاد. ولذا ينقب اليهود عن هذا الهيكل لأنهم أقاموا دولتهم على المعتقدات الصهيونية ومنها استعادة "المملكة الداوودية - السليمانية"، أو دولة العصر الحديدي، فقد أشار إعلان الاستقلال لدولة "إسرائيل" الحديثة - الذي أصدرهُ مجلس الأمَة المؤقت في تل أبيب، بتاريخ ١٤ أيار/ مايو ١٩٤٨ - إلى "إعادة بناء الدولة اليهودية (re-establishment of the Jewish state -)".

ولما كانت الحفريات المستمرة منذ نحو ستين سنة لم تتوصل إلى أيَ أثر لبيت همقدش، وهو ما يؤكد أن هذا الهيكل وهم من زعم الصهاينة، وهو ما من شأنه أن يهدم فكرة أرض الميعاد؛ لأن اليهود يعتقدون أن الماشيح (ليس المقصود به المسيح عيسى ابن مريم، وإنما هو من نسل داود عليه السلام (وهو حسب العقيدة اليهودية أحد المبادئ الثلاثة عشر التي يؤمنون بها - والتي وضعها أحد كبار الحاخامات في العصور الوسطى وهو عيس بن ميمون -، وحسب عقيدتهم فسيعيد الماشيح بناء بيت همقدش، وهو يبشر بنهاية العالم، ويخلص الشعب اليهودي من ويلاته، ويقاتل المسلمين فيقتلهم ويأخذون بعضهم عبيدًا عند اليهود حسب زعمهم، ولأنه لا يعرف بالضبط أين موقع بيت همقدش، فقد ذهب بعض اليهود إلى أن موقعه مكان مسجد قبة الصخرة، وليس ثمة دليل على ذلك رغم وجود ٣٠٠ موقع تقوم فيها البعثات الأثرية بأعمال الحفر، في فلسطين المحتلة، وهو ما يهدم زعم اليهود بشأن الوعد لإبراهيم عليه السلام بفلسطين؛ لأنه لا أثر للهيكل بها، فكيف سيأتي الماشيح لإعادة بناء الهيكل؟!

فضلاً عن أن الأرض المقدسة المذكورة في التوراة في سفر التكوين لم تتعين بفلسطين أو القدس، حيث ما ورد هو: قال الرب: " أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين لأعطيك هذه الأرض للاستيلاء على ذلك".

كما ورد بسفر التكوين: " وفي ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام عهدًا، وقال: "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير) نهر الفرات(...". فالحركة الصهيونية قامت على عقيدة باطلة وهي أن فلسطين وما حولها من أرض تمتد من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات هي أرض الميعاد وعد الرب بها شعبه المختار من بني إسرائيل الذي وهبه الله أرض الميعاد لتكون ملكاً ووطناً، بل إن نص الآية ٨ من الإصحاح ١٧ من سفر التكوين: "أعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكاً أبديّاً".

ولأن رواية سفر صموئيل الثاني، وسفر المُلوك الأول، تقول: إن الملك داود، أقام إمبراطورية، تمتد بين النيل والفرات، وما ورد في سفر التكوين أن الرب أعطى لإبراهيم الأرض من نهر مصر إلى نهر الفرات، ولذا نجد علم الكيان الصهيوني يجسد هذه العقيدة، ففيه خطان أزرقان (وهما نهر النيل ونهر الفرات) وبينهما النجمة السداسية - نجمة داود التي تشير إلى مملكته التي امتدت من النيل إلى الفرات بزعمهم. ومن أجل هذه العقيدة لم تقدم الحركة الصهيونية حدوداً ثابتة لدولتهم، فقد اكتفى إعلان قيام (دولة إسرائيل) في ١٩٤٨/٥/١٤ بالإشارة إلى أرض (إسرائيل)، مهد الشعب اليهودي، دون أن يرسم لهذه الأرض حدوداً .كما أن النشيد الوطني الصهيوني المعروف باسم "هاتكفاه" أو ( الأمل) يجسد هذه العقيدة ففيه:

طالما كان في القلب، داخلنا روح
يهودية ما زالت تتحرق شوقاً
وما دام صوب نهاية الشرق عين
ما زالت تتطلّع نحو صهيون
فأملنا لم ينته بعد
أمل الألف عام أن نصبح أحراراً في أرضنا
أرض صهيون وأورشليم

وعلى ذلك فالمحرك وراء هذه الأحداث والباعث عليها هو عقيدة راسخة ظهرت جلية في الحفريات التي تستهدف البحث عن الهيكل والتي يتم جزء منها تحت المسجد الأقصى، وفي علم دولتهم الذي يجسد عقيدتهم من النيل إلى الفرات، بل وفي النشيد الوطني لهم الذي يتحدث عن

أرض الميعاد، وفي المقابل نتساءل: هل ترسخت عقيدة المسلمين في نفوسهم؟ وهل انتبهوا إلى جوانب راسخة في العقيدة كالولاء والبراء، الموالاة لأهل الإيمان وحبهم، والبراءة من أهل الشرك وبغضهم، فالعقيدة الصهيونية لا تواجه إلا بعقيدة راسخة خالية من الشوائب والبدع.

### مناصرة الصهاينة:

خلال هذه الأحداث وجدنا بعض المسلمين يناصرون الصهاينة الذين اغتصبوا فلسطين عنوة وساموا أهلها سوء العذاب، وتوسعوا في إقامة المستوطنات رغم استنكار العالم أجمع لذلك، وطردوا أهل حي الشيخ جراح، واقتحموا المسجد الأقصى بأحذيتهم وأسلحتهم وجرحوا من جرحوا وأزهقوا الأنفس، كما حاصروا المصلين العزل في المسجد الأقصى، ورغم ذلك ناصر هؤلاء المسلمون الصهاينة وهاجموا بضراوة أهل غزة، رغم أن ذلك لا يجوز شرعًا لقوله تعالى: «لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ» (سورة المجادلة: ٢٢).

فعلينا أن لا نفرق بين الفلسطينيين ولا نقسمهم إلى شيع وطوائف، وعلينا أن نتعامل معهم على أنهم أشقاء وفي محنة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة" (متفق عليه).

وعلينا أن ننتبه إلى أنه يجب التفرقة بين علاقات الدول مع الكيان الصهيوني، وهذا أمر سياسي لا شأن للشعوب به، والتي عليها أن تظل رافضة للتقارب مع الكيان الصهيوني، معرضة عن التطبيع معه بكل ما أوتيت من قوة. فلا يجوز لبعض المسلمين أن يوالوا هؤلاء الصهاينة.

### الصهاينة يحبون منهج فرعون:

خلال هذه الأحداث هاجم الصهاينة المنازل السكنية، وقتلوا من فيها من النساء والولدان، ورغم أن صنيع فرعون معهم اقتصر على قتل الأبناء، لقوله تعالى: «وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ» (سورة البقرة: ٤٩).

ففرعون مع تكبره كان يقتل أبناء بني إسرائيل، أما هؤلاء الصهاينة فلم يذروا امرأة ولا طفلا ولا شيخًا إلا قتلوه، وعلى النقيض من ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث عبد الله بن العباس رضي الله عنهما في مسند أحمد بن حنبل كان إذا بعث جيوشه قال: "اخرجوا بسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع" (وأصحاب الصوامع هم العُبّاد والرهبان).

ولما وجد النبي صلى الله عليه وسلم في بعض المغازي امرأة مقتولة، غضب وقال: "ما كانت هذه تقاتل"، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان" (متفق عليه).

### ألا إن القوة الرمي:

وخلال هذه الأحداث نأخذ العبرة من تأثير الصواريخ المصنعة محليا على الكيان الصهيوني الذي يمتلك أكبر جيش في الشرق الأوسط، والهلع والفزع الذي أصابهم (لقلة عمق هذا الكيان وهو ما يمثل نقطة ضعف لهم) ونتذكر وهم يهرعون إلى مخابئهم قول الحق سبحانه في سورة الحشر: «لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ» (الحشر: ١٤).

ولا شك أن من أهم أسباب القوة التي نأخذ بها الرمي، والذي كان فيما سلف الرمي بالسهام، والآن تشمل الصواريخ والمدافع وكذلك الطائرات، ففي حديث عقبة بن عامر أنه: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: «وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ»

(الأنفال: ٦٠)، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي. (صحيح مسلم).

ولعل هذا ما يبرر ملاحقة الكيان الصهيوني للعلماء العرب الذين يبرزون في هذه المجالات، والذين قتلوا جميعًا في حوادث مريبة لم يتوصل إلى مرتكب أي منها، ولا عجب في ذلك فهم يظنون حسب معتقدهم الفاسد أن دماء وأموال الأمم الأخرى مباحة لهم، يقول تعالى: «ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» (آل عمران: ٧٥).

### التنبيه على بعض المخالفات:

ومع الحزن الشديد للدماء التي أريقت بغير وجه حق، وللأشلاء التي تمزقت، وللديار التي هدمت، وللأسر التي شردت وروعت، ومع المواساة للقلوب المكلومة، فإنه يجب التنبيه إلى أمور وقعت بالمخالفة للشرع منها: توجه مجموعة من النسوة إلى المرأة التي مات ولدها أو زوجها وهن يصفقن يغنين ويرددن: "يا ليتها كانت أمي أنا"، والمقصود أي التي تتلقى العزاء...، وليس التصفيق والغناء عند الموت من صنيع نبينا صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة رضي الله عنهم.

البكاء على الميت أمر فطري، فمن الطبيعي على من فقد أحبته أن يبكي؛ وهذا أمر مباح لا حرج على فاعله، وإنما المنهي عنه هو الندب والنياحة، والنبي صلى الله عليه وسلم قد بكى على ابنه إبراهيم، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الصحيحين، ولما قتل جعفر بن أبي طالب في مؤتة بكى أهله عليه ثلاثة أيام، وقد أخرج أبو داود في سننه عن عبد الله بن جعفر، أن النبي صلى الله عليه وسلم أمهل آل جعفر ثلاثا أن يأتيهم، ثم أتاهم، فقال: "لا تبكوا على أخي بعد اليوم". وحزن النبي صلى الله عليه وسلم على حمزة معلوم بما يغني عن البيان.

ومن المخالفات الظاهرة أيضًا قول البعض الشهيد "فلان" ويعينه باسمه، ولا يستثني؛ فلا يقول إن شاء الله، أو نرجو أن يتغمده الله في الشهداء، وقائل ذلك يتألى على الله، ويتغافل عما بوب به البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، حيث بوب بابًا بعنوان: "لا يقول فلان شهيد، قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الله أعلم بمن يجاهد في سبيله الله أعلم بمن يُكْلَم في سبيله".

ومن الأمور المحزنة ما حدث في المسجد الأقصى حيث رأى الناس اعتداء المصلين على مفتي السلطة الفلسطينية محمد حسين وإجباره على إيقاف خطبة الجمعة في المسجد الأقصى لمدحه الرئيس الفلسطيني وتجاهله الأحداث التي وقعت في القدس، ولدور أهل غزة، ومع التأكيد على أن خطبة الجمعة لم تشرع لتمجيد الحكام، وإنما هي عبادة خالصة لله عز وجل، إلا أن الأصل كما هو معلوم وجوب الإنصات لخطبة الجمعة، ومن تكلم أثناء خطبة الجمعة كان آثما عاصيا؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت" (متفق عليه).

قال الإمام النووي: في شرحه على صحيح مسلم عن هذا الحديث: " في الحديث النهيُ عن جميع أنواع الكلام حال الخطبة"، وقال عنه ابن حجر العسقلاني في الفتح: "واستدل به على منع جميع أنواع الكلام حال الخطبة" وكان الحري بمن أنكر شيئا مناصحة هذا الإمام بعد الخطبة بلين ورفق، دون أن يؤدي إلى حدوث فتنة أكبر، أو يؤدي إلى لغط وتشويش، ويكون ذلك النصح بعد انتهاء الصلاة، وفي خارج المسجد محافظة على قدسيته، ولكن أن يحدث قذف الزجاجات وإلقاء المقاعد والسباب في المسجد، ومنع الخطيب من إتمام خطبته، فهذا ما لا يقول به أحد، ولا يرضاه أحد. والمولى سبحانه وتعالى حذرنا من الاختلاف والشقاق وأنه يؤدي لذهاب القوة إذ يقول: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» (سورة الأنفال: ٤٦).

نسأل الله سبحانه أن يصلح ذات بيننا، وأن يؤلف بين قلوبنا، وأن يرد عنا كيد عدونا اللهم آمين.

# اسجد وَاقترِب

**د. ياسر لمعي عبد المنعم**

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
المساعد جامعة غينيا العالمية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلي الله عليه وسلم وبعد:

فإن المتأمل في علاقة العبد بربه يجد عجباً، يجد أن قمة الذل لله هي قمة الاقتراب منه؛ وذلك لأن ذل العبد مقترن باعترافه بألوهية الله، وقدرته على كل شيء، وقد دل على ذلك قول الله تعالى في سورة العلق: « كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ » (العلق:١٩).

نزلت الآية على نبينا ونحن بفعله نقتدي، وبأمره نأتمر، قال تعالى معلماً لنبيه: « كَلَّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ » لا تطع الشيطان، لا تطع شيطان الإنس، وخالف قوله، وخالف أمره، ولا تخش وعيده، وترانيمه، وإيحاءاته، وخطواته.

« وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ » من خالقك؛ فإن أشرف حالات العبد في السجود بين يدي خالقه ومولاه. ففي السجود متعة الخضوع للعزيز الكريم، وجمال الإذعان للرحمن الرحيم، وهي لحظات كرم وبركة لا حدود لها، في السجود لذة لا توصف وانشراح لا يحيط به قلم، ينقل المسلم من قطعة ضيقة على الأرض إلى ارتفاع في أفضية السماء.

« وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربِّه وهو ساجدٌ، فأكثروا الدعاءَ"، السجودُ رفعة العبد؛ فيه لذة الذل وطمأنينة القلب، وسكينة الفؤاد للعزيز الكريم، ومتعة استقبال أمر السماء وهي لحظات تبث فيها مكنونات الصدور، في السجود رقي لا يوصف، وهدوء منشود، ينقل العبد من دنو الأرض إلى سموق السماء؛ ولذلك وصَفَتْ عائشة-رضي الله عنها- في الصحيح قيامَ النبي-صلى الله عليه وسلم- فقالت: "يسجد السجدةَ من ذلك قدرَ ما يقرأ أحدُكم خمسينَ آيةً قبل أنِ يرفع رأسه".

وان كان السجود جسدياً فإنه أيضاً يكون معنوياً، وكلاهما يضفي على وجه صاحبه ضياء الإيمان، وعلى قلبه سعادة الاطمئنان، ويسكب فيه سكينة تطمئن الفؤاد، ويكسو العبد جلال الوقار، وبشاشة المحيا، في السجود يكون الإله-سبحانه- قريباً ممن دعاه، مجيباً لمن ناجاه، سميعاً لمن ارتجاه، ومن كان بقرب الله فإنه ينال عند ربه نعمة الرضا، وأرفع مقامات العبودية « وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ».

كذلك من خيرات كثرة السجود وبركته صحبة النبي، صلى الله عليه وسلم، في الجنة، ففي حديث ربيعة بن كعب الأسلمي كنتُ أبيتُ مع رسول الله، صلَّى الله عليه وسلَّم، فأتَيْتُه بوَضوئه وحاجته فقال لي: سَلْ فقُلتُ: أسألُك مُرافقَتَك في الجنة. قال: أو غيرَ ذلك قُلتُ: هو ذاك. قال: فأعنِّي على نفْسك بكثْرة السُّجود.

وقوله: « بكثرة السجود »: أي صلاة النوافل، وعبّر بالسجود؛ لأن السجود غاية التواضع والعبودية لله تعالى، وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها وهو وجهه من التراب الذي يداس ويمتهن، وأيضاً لأنّ العبد أقرب ما يكون إلى الله وهو ساجد.

« وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ » فلك في كل سجدة رفعة، ودُنُو منزلة، وقرب مكانة، (ومن حديث عبادة بن الصامت) قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "-ما من عبد يسجد لله سجدةً إلا كتب الله له بها حسنةً، ومحا عنه بها سيئةً، ورفع له بها درجةً، فأكثروا من السجود.

«وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ»، فعطاءُ الله لا ينفدُ، ومن تقرَّب إليه رفعه الله بفضله لمراتب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

«وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ» ففي السجود تتجلّى علاماتُ التصديق والايمان، وتبرُز أماراتُ اليقين والتسليم.

(وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)، فإن السجود هو العبادة التي جبلت عليها كل الكائنات سجوداً جسدياً بوضع الوجه على الأرض، وسجود القلب وخضوعه ورجوعه لخالقه ومولاه، واسجد سائلاً ربَّك داعياً خالقَك، متضرعاً إلى مولاك، فأنتَ في جنة من جنان الدنيا، اسجد سجودَ الخاشعينَ المتذللين.

و(وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) كلما تذكرتَ تقصيرك في قربك وعملك، واستشعرت الألم من الذنب ومن الغفلة، فعليك بباب التوبة والاستغفار.

«وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ»، قال تعالى واصفاً نبيَّه داودَ-عليه السلام-: «وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ» (ص: ٢٤-٢٥).

«وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ» إذا اشتدت عليكَ الكُرُباتُ وحاصرتك الصعوباتُ، وواجهتك الملماتُ فإن السجود فَرَجُ كلِّ همٍّ.

«وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ»، السجود يُطفئُ غضبَ الرحمن، ويُوجب الرضا منه-سبحانه- وفي حديث سلمان الفارسي، رضي الله عنه، عن النبي-صلى الله عليه وسلم- أنه إذا وقَف الناسُ في عرصات يوم القيامة وانطلقوا للشفاعة فسألوا الأنبياءَ وانتهوا إلى رسول الله وقالوا: "يا محمدُ، أما ترى ما نحن فيه؟ أما ترى ما أصابنا؟ فيقول: أنا لها، فينطلق-صلوات الله وسلامه عليه- فيسجد تحت العرش، قال صلى الله عليه وسلم: "فأستأذنُ على ربي فيؤذن لي فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها الآن، يُلهمُنيها الله ثم أخرُّ ساجداً فيقول لي: يا محمدَ، ارفع رأسَك، وقُلْ يُسمَعْ، وسَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ".

«وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ» قال تعالى: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» (الحجر: ٩٧-٩٨). إذا شعرت بضيق الصدر، وكثرت همومك، وتكالبت عليك الدنيا بهمها وغمها، فدونك العلاج فتناوله، وبين يديك الدواء فاستعمله: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ». ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

«وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ» أيها العبد لتتقوى بالسجود على مكر الأعداء، وبطش الحاقدين، وحسد الحاسدين، وواجه به قوة الجبابرة الجسدية والمعنوية، وقد كان السجود سلوك السحرة حين تبين لهم الحق، «فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ» (طه: ٧٠). فتوعدهم الشيطان الأكبر فرعون بالقتل والصلب والعذاب الشديد، ولكن من ذلت جبهته لرب العالمين أكرمه الله برفعة هامته، وتثبيته على الحق، ونيل كرامته. فقالوا له بكل رسوخ ووضوح: «فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» (طه: ٧٢).

بسجودهم مدح الله صحابة نبيه ومصطفاه، صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وأرضاهم أجمعين، قال تعالى: «مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ» (الفتح: ٢٩). وانما طهر البيت الحرام للطائفين والعاكفين والركع السجود. الذين لا يستكبرون، ولعظمته يخضعون، وبآياته يؤمنون، وبه لا يشركون. خلاصة القول: «كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب» (العلق: ١٩)

فلا تطع شيطانك، قم للفجر بل قم الليل إلا قليلاً «وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ» لا تطع شيطانك وتاجر بمالك، واترك الربا «وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ»، لا تطع شيطانك وتابع أسرتك وتقرب إلى الله بمتابعتهم «وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ»، لا تطع شيطانك وصل رحمك ففيها القرب من الله «وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ»، لا تطع شيطانك ولا تؤذ جيرانك، ولا تخذل أبناءك «وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ» ببر الوالدين وكفالة الأيتام وتعمير المساجد «وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ» بكل أنواع الخير وليكن لك سهم في جميعها.. هذا وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

# «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ»

إعداد **مصطفى البصراتي**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعدُ:

ففي هذا العدد نتكلم عن مثل من الأمثال القرآنية وهم في الآية الثامنة والسبعين من سورة يس، قال تعالى: « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ » (يس: ٧٨، ٧٩).

## المعنى الإجمالي

قال تعالى: «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهيَ رَميمٌ» يعني :هذا الإنسان الذي كان خصيمًا مبينًا ضرب مثلاً لله عز وجل بفتّه العظم يريد التعجيز والإنكار وتقرير نفيه واستبعاد إعادة الله تعالى ذي القدرة العظيمة التي خلقت السماوات والأرض للأجساد والعظام الرميمة ونسي نفسه، وأن الله تعالى خلقه من العدم إلى الوجود، فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحده، ولهذا قال عز وجل: «قُلْ يُحْييهَا الَّذي أنشَأهَا أوَّلَ مَرَّة وَهُوَ بكُلِّ خَلْق عَليمٌ» أي: يعلم العظام في سائر الأقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت؟ وأين تفرقت وتمزقت؟ ومَن قدَرَ على النشأة الأولى قدَرَ على النشأة الثانية.

«وَهُوَ بكُلِّ خَلْقٍ عَليمٌ» لا يخفى عليه خافية ولا يخرج عن علمه خارج كائنًا من كان. (تفسير ابن كثير بتصرف).

## معاني المفردات

«وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً» وضرب المثل إيجاده، كما يقال: ضرب خيمة وضرب دينارًا، والمثل: تمثيل الحالة، فالمعنى: وأظهر للناس وأتى لهم بتشبيه حال قدرتنا بحال عجز الناس؛ إذ أحال إحياءنا العظام بعد أن أرمت.

«وَنَسيَ خَلْقَهُ» يحتمل أن يكون نسيان الذهول واحتمال أن يكون نسيان الترك. والمعنى: نسي أننا خلقناه من نطفة، أي

لم يهتد إلى أن ذلك أعجب من إعادة عظمه.

«قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ» وهذا الاستفهام للإنكار؛ لأنه قاس قدرة الله على قدرة العبد، فأنكر أن الله يحيي العظام البالية؛ حيث لم يكن ذلك في مقدور البشر.

«قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ» أجاب سبحانه عن الضارب لهذا المثل فقال: «قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ» أي: ابتدأها وخلقها أول مرة من غير شيء ومن قدر على النشأة الأولى قدر على النشأة الثانية.

«وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» لا يخفى عليه خافية، ولا يخرج عن علمه خارج كائنًا ما كان. (معاني المفردات مستفادة من «فتح القدير» للشوكاني، و«التحرير والتنوير» بتصرف).

### المعنى الإجمالي

لقد ضرب هذا المنكر مثلاً بعظم رميم بال على استبعاد البعث، ونسي مبدأ خلق نفسه من العدم، ثم صيرورته إلى الوجود، فقال: من الذي يتمكن من إحياء العظام البالية بعد أن صارت رميمًا، أي بالية فانية؟ والنسيان من هذا المنكر إما نسيان الذهول أو نسيان الترك. فأجابه الله تعالى بما معناه: قل أيها النبي لهذا المشرك المنكر للبعث: يحيي الله العظام البالية التي أنشأها وأبدع خلقها في المرة الأولى من العدم، ولم تكن شيئًا مذكورًا، والله لا تخفى عليه خافية من الأشياء، سواء أكانت مجموعة أم مجزأة مشتتة في أنحاء الوجود، ولا يخرج عن علمه أي شيء كائنًا ما كان، في البر أو في البحر أو في جوف الحيوان أو مختلطًا بالتراب.

ودليل آخر على إمكان البعث؛ وهو أن الله تعالى خلق هذا الشجر من ماء حتى صار أخضر نضرًا، ثم صيّره حطبًا يابسًا، يجعله الناس وقودًا لنيرانهم، فمن كان قادرًا على هذا التحويل والتقلب من عنصر الرطوبة إلى عنصر الحرارة، فهو قادر على إعادة الرطب يابسًا، والحي ميتًا، والميت حيًا؛ لأن المعول في ذلك كله على القدرة الإلهية.

ودليل ثالث؛ وهو أن من خلق السماوات السبع وما فيها من الكواكب السيارة والثوابت، والأرضين السبع وما فيها من معادن وكنوز وجبال وأنهار، وسهول وهضاب، وهي أعظم من خلق الإنسان، من خلق ذلك فهو قادر على خلق مثل البشر، وإعادة الأجسام إلى الحياة مرة أخرى، وهي أضعف وأصغر من خلق السماوات والأرض، والله هو الخلاق: أي كثير الخلق، العليم: الشامل العلم.

إن شأن القدرة الإلهية أو شأن الله في إيجاد الأشياء سهل يسير؛ وهو إذا أراد شيئًا قال له: كن، فإذا هو كائن على الفور، من غير توقف على شيء آخر أصلاً.

فتنزيهًا لله تعالى عما لا يليق به من العجز والنقص والسوء، فهو الذي بيده ملكية جميع الأشياء، وله القدرة التامة على كل الموجودات، يتصرف فيها كيفما يشاء، وإليه وحده دون غيره مرجع جميع العباد بعد البعث في الدار الآخرة، فيجازي كل إنسان بما عمل، فما عليهم إلا أن يؤمنوا بوحدانيته وقدرته، وبإيجاد الآخرة بحسب علمه. (التفسير الوسيط للدكتور وهبه الزحيلي).

### من فوائد الآيات:

١) من الفوائد أن الله سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده الملحد اقتضى جوابًا فكان في قوله سبحانه: «وَنَسِيَ خَلْقَهُ» ما وفى بالجواب وأقام الحجة وأزال الشبهة لولا ما أراد سبحانه من تأكيد حجته وزيادة تقريرها وذلك أنه سبحانه أخبر أن هذا الملحد السائل عن هذه المسألة لو لم ينسَ خلق نفسه وبدء

كونه وذكر خلقه لكانت فكرته فيه كافية في جوابه مسكتة له عن هذا السؤال، ثم أوضح سبحانه ما تضمنه قوله: «وَنَسِيَ خَلْقَهُ» وصرح به جوابًا له عن مسألته فقال: «قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ» فاحتج بالإبداء على الإعادة وبالنشأة الأولى على النشأة الآخرة، إذ كل عاقل يعلم علمًا ضروريًا أن من قدر على هذه قدر على الأخرى، وأنه لو كان عاجزًا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز.

٢) لما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على مخلوقه وعلمه بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله: «وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» فهو عليم بالخلق الأول وتفاصيله وجزئياته ومواده وصورته وعلله، وكذلك هو عليم بالخلق الثاني وتفاصيله ومواده وكيفية إنشائه، فإن كان تام العلم كامل القدرة كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم؟

٣) الاستدلال بالأشد على إمكان الأخف، لقوله: «يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ» فقد استدل بالأشد على إمكان الأخف، فالأشد إحياؤها أول مرة، والأخف الإعادة.

٤) ومن الفوائد: أنه ينبغي للمستدل المناظر أن يأتي بالشيء الذي يقرّ به خصمه، من أجل أن تقوم عليه الحجة، لأنه قال: «يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ» والخصم هنا لا ينكر أن الله تعالى أنشأها أول مرة.

فينبغي أن تأتي بالشيء الذي يقر به خصمك لتقيم الحجة عليه بإقراره، وهذا أدب من أدب المناظرة؛ لأنه أقرب إلى الإقناع، وله نظائر منها: أن إبراهيم عليه السلام لمَّا ناظر الذي حاجَه في ربه فقال إبراهيم: «رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ» (البقرة: ٢٥٨).

فعدل إبراهيم عن ذلك وقال: «فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ»، وهذا يقر به الخصم، «فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ»، وهذا لا يمكن للخصم أن يقوم به.

فالحاصل أنه ينبغي للإنسان أن يتعلم طرق المناظرة والمحاجة، وأن يأتي خصمه من الوجهة التي يقر بها حتى يقيم عليه الحجة؛ لأن المناظرة والمحاجة وسيلة لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

٥) تمام قدرة الله سبحانه وتعالى بإنشاء هذه العظام لأول مرة لأنه لا أحد يستطيع أن يخلق هذه العظام «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ» (الحج: ٧٣)، مع أن الذباب ليس فيه العظام القوية الصلبة، فإذا كانوا لا يقدرون على ذلك فهم على ما هو أعظم أعجز. (الفوائد مستفادة من كتاب «بدائع التفسير» لابن القيم (٤٨٢/٣)، وتفسير ابن عثيمين).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## عزاء واجب

تُوفي إلى رحمة الله تعالى المهندس/عبدالهادي عبدالرحمن إسماعيل، شقيق الدكتور جمال عبد الرحمن عضو اللجنة العلمية بالمجلة، وتتقدم أسرة تحرير المجلة بخالص العزاء للشيخ جمال عبدالرحمن، نسأل الله أن يغفر لشقيقه وأن يرحمه رحمة واسعة، وأن يدخله فسيح جناته، وأن يرزق أهله الصبر والسلوان، لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى.

# بغية الكمال بشرح حديث أفضل الأعمال

**إعداد أ.د. مرزوق محمد مرزوق**
نائب المشرف العام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

في الصحيحين عن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله، والجهاد في سبيله». قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: «أنفَسُها عند أهلها، وأعلاها ثمنًا». قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «تُعين صانعًا، أو تصنع لأخرق». قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضعُفت عن بعض العمل؟ قال: «تكُفُّ شرك عن الناس؛ فإنها صدقةٌ منك على نفسك».

## أولاً: التخريج والحكم عليه:

أخرجه البخاري في "كتاب العتق" "باب أي الرقاب أفضل" حديث (٢٥١٨)، وأخرجه مسلم حديث (٨٤)، وأخرجه النسائي في "كتاب الجهاد" "باب ما يعدل الجهاد في سبيل الله عزوجل" حديث (٣١٢٩)، وأخرجه ابن ماجه في "كتاب العتق" "باب العتق" حديث (٢٥٢٣).

وكما هو ظاهر فالحديث في أعلى درجات الصحة والحمد لله.

## ثانيا: فائدة حديثية من علم الحديث رواية والجمع بين روايات الأحاديث التي ظاهرها التعارض في بيان أفضل الأعمال:

هذا التعارض الظاهر هو من تفضل الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان ذلك أن الله تبارك وتعالى اختار لصحبة نبيه هؤلاء الأخيار، فهم علماء أجلاء شامة أنقياء يحرصون على الخير والسعي إليه، ونقله إلى الخلق والدلالة عليه، وهي نعمة تستدعي منا الشكر، وكان من حرصهم على الخير حرصهم على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن الذي ينفعهم، وسؤالهم عن فقههم وعلمهم؛

وذاك لعلمهم رضي الله تعالى عنهم أن الجنة لا تُنال بالأماني والتمني، بل لا بد من عمل يدرك به الإنسان ما يؤمله من رحمة الله جل في علاه كما قال تعالى: «وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (الزخرف: ٧٢)، فطريق تحصيل الجنة هو العمل، مخالفة لمن فهم خطأ أو غُرر به خبثًا من المنتفعين فجعلوا الدين أماني وطرقًا وعهودًا توزعها أيادي أشياخ لُبِّس عليهم فأسقطوا عن أنفسهم التكاليف ويا ليتهم اقتصروا على فهمهم وضلالهم على أنفسهم، لكنهم صاروا لضلالهم دعاة وبهواهم على غيرهم من الناس قضاة فظهرت الطرق والضلالات والبدع والخرافات، فيا أيها السالكون حنانيكم فهو طريق واحد لا عشرات وصراط مستقيم ليس فيه ثنيات «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

فينبغي للعامل أن يبحث عن أفضل ما يوصله إلى مطلوبه، وأفضل ما يقربه إلى منشوده، وذلك أن الأعمال في إيصالها إلى المطلوب على مراتب ودرجات، ليست على مرتبة واحدة بل متفاوتة الأجر والحسنات، وتحصيل ذلك بالبحث عن أفضلها وأطيبها ليس بالهوى والرغبات والنزوات.

وها هو أول هذه الأسئلة التي سألها أبو ذر رضي الله عنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: أي الأعمال أفضل؟ وهذا السؤال تكرر من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- فسأله أبو هريرة وابن مسعود وأبو أمامة وعمرو بن عنبسة وأبو موسى الأشعري ومعاذ وربما غيرهم مما لم أقف عليه فرضي الله عنهم أجمعين.

- فمن ذلك: ما رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥) عن ابن مسعود قال: " سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: (الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا)، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ) قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)".

- وما روى النسائي (٢٢٢٢)- واللفظ له -، وغيره عَنْ أَبِي أُمَامَةَ: " أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عَدْلَ لَهُ)".

- وروى أحمد (١٧٠٢٧) عن عمرو بن عبسة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل: (عَمَلَانِ هُمَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِمِثْلِهِمَا: حَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ أَوْ عُمْرَةٌ) وصححه محقق المسند.

- وروى البخاري (١١)، ومسلم (٤٢) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ)".

- وروى البخاري (٢٧٨٥) عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: (لاَ أَجِدُهُ)، قَالَ: (هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ المُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلاَ تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلاَ تُفْطِرَ؟)، قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟

- وسأله معاذ حيث قال: دلني على عمل يقربني من الله يدخلني الجنة أو يقربني إلى الجنة ويبعدني عن النار، فتنوعت أسئلة الصحابة رضي الله تعالى عنهم عن أفضل الأعمال التي هي أحب إلى الله والتي هي طريق الدخول إلى الجنة. (سنن الترمذي وقال حسن صحيح).

وقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث وغيرها، وكان من أفضل من أجاب شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر قال: "مُحَصَّلُ ما أجاب به العلماءُ عَنْ هذا الحديث وغَيرِه مما اختلفت فيه

الأَجْوِبَةِ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ:

أَنَّ الجَوَابَ اخْتَلَفَ لاخْتِلافِ أَحْوَالِ السَّائِلِينَ، بِأَنْ أَعْلَمَ كُلَّ قَوْمٍ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، أَوْ بِمَا لَهُمْ فِيهِ رَغْبَةٌ، أَوْ بِمَا هُوَ لائِقٌ بِهِمْ.

أَوْ كَانَ الاخْتِلافُ بِاخْتِلافِ الأَوْقَاتِ، بِأَنْ يَكُونَ العَمَلُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ أَفْضَلَ مِنْهُ فِي غَيْرِهِ. فَقَدْ كَانَ الجِهَادُ فِي ابْتِدَاءِ الإِسْلامِ أَفْضَلَ الأَعْمَالِ، لأَنَّهُ الوَسِيلَةُ إِلَى القِيَامِ بِهَا وَالتَّمَكُّنِ مِنْ أَدَائِهَا، وَقَدْ تَضَافَرَتِ النُّصُوصُ عَلَى أَنَّ الصَّلاةَ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَفِي وَقْتِ مُوَاسَاةِ المُضْطَرِّ تَكُونُ الصَّدَقَةُ أَفْضَلَ.

أَوْ أَنَّ أَفْضَلَ لَيْسَتْ عَلَى بَابِهَا، بَلِ المُرَادُ بِهَا الفَضْلُ المُطْلَقُ، أَوِ المُرَادُ: مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ، فَحُذِفَتْ "مِنْ" وَهِيَ مُرَادَةٌ". انتهى من "فتح الباري" (٢/ ٩).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: " قد يكون العمل المعين أفضل منه في حق غيره: فالغني الذي له مال كثير، ونفسه لا تسمح ببذل شيء منه: فصدقته وإيثاره أفضل له من قيام الليل وصيام النهار نافلة.

والشجاع الشديد الذي يهاب العدوُ سطوته: وقوفه في الصف ساعة، وجهاده أعداء الله: أفضل من الحج والصوم والصدقة والتطوع.

والعالم الذي قد عرف السنة، والحلال والحرام، وطرق الخير والشر: مخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم: أفضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح.

ووليُّ الأمر الذي قد نصبه الله للحكم بين عباده: جلوسه ساعة للنظر في المظالم، وإنصاف المظلوم من الظالم، وإقامة الحدود، ونصر المحق، وقمع المبطل: أفضل من عبادة سنين من غيره.

ومن غلبت عليه شهوة النساء: فصومه - له - أنفع وأفضل من ذكر غيره وصدقته.

وتأمل تولية النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهما من أمرائه وعماله، وترك تولية أبي ذر، بل قال له: (إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمَّرن على اثنين، ولا تولَّينَّ مال يتيم)، وأمر غيره بالصيام وقال: (عليك بالصوم فإنه لا عدل له)، وأمر آخر بأن لا يغضب، وأمر ثالثا بأن لا يزال لسانه رطبًا من ذكر الله.

ومتى أراد الله بالعبد كمالا، وفقه لاستفراغ وسعه فيما هو مستعد له، قابل له، قد هُيئ له، فإذا استفرغ وسعه، علا غيره وفاق الناس فيه.

وهذا كالمريض الذي يشكو وجع البطن مثلا، إذا استعمل دواء ذلك الداء: انتفع به، وإذا استعمل دواء وجع الرأس: لم يصادف داءه.

فالشح المطاع - مثلا - من المهلكات، ولا يزيله صيام مائة عام، ولا قيام ليلها!!

وكذلك داء اتباع الهوى، والإعجاب بالنفس: لا يلائمه كثرة قراءة القرآن، واستفراغ الوسع في العلم والذكر والزهد، وإنما يزيله إخراجه من القلب بضده.

ولو قيل: أيما أفضل: الخبز أو الماء؟ لكان الجواب: أن هذا في موضعه أفضل، وهذا في موضعه أفضل ". انتهى من "عدة الصابرين" (ص ١١٤-١١٥).

وعموما: فإن شريعتنا وحي يوحى: لذا فإن الخلاصة هي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- تنوعت إجاباته لأصحابه ولنا عن أفضل العمل تنوعًا لفظيًا، وإلا فالحقيقة هي متفقة في المعنى، وقد بينها - صلى الله عليه وسلم- في حديث أبي هريرة في

البخاري؛ حيث قال: فيما يخبر بها عن الله -عز وجل- «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّبَ إليّ عبدي بشيء أحَبَّ إليّ ممّا افترضتُ عليه»؛ فأحب ما يتقرب به إلى الله تعالى الفرائض، وهو أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله -عز وجل- ورأس ذلك الايمان.

### الإيمان بالله رأس الأعمال:

ولهذا قال في حديث أبي ذر في بيان أفضل العمل قال: الايمان بالله، والايمان بالله هو الاقرار بالله -عز وجل- الايمان به وبأسمائه وصفاته بالوهيته وربوبيته، فالايمان بالله -عز وجل- يتضمن كل هذه المعاني، ويتضمن أيضًا الايمان بكتبه وملائكته ورسله والقدر خيره وشره واليوم الآخر. فالايمان بالله عنوان لكل أصول الايمان التي يجب أن تقر في القلب ويؤمن بها العبد، فالايمان هو الاقرار المستلزم للإذعان والقبول، فيقر العبد بالله -عز وجل- بما أخبر به عن نفسه، ويقر بما يجب الاقرار به من الايمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

كل هذا مندرج في أفضل العمل، في قوله -صلى الله عليه وسلم- الايمان بالله ويلتحق بهذا أيضًا بعد الايمان بالله ما يكون من أعمال الجوارح التي لا بد منها وهي مباني الإسلام الأربعة بعد الشهادتين، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج.

### حقوق الله عز وجل
### وحقوق العباد:

وهذه كلها في حقوق الله -عز وجل- فهي من أفضل الأعمال، بل هي أفضل الأعمال التي يتقرب بها إلى الله -عز وجل- بعد هذا تأتي فرائض الأعيان المتعلقة بالخلق كبر الوالدين واكرام الجيران وأداء الأمانات وما أشبه ذلك من الحقوق التي فرضها الله تعالى على العبد من بر الوالدين وذوي القربى والجيران وذوي الأرحام وغيرهم، ممن له حق من خلق الله -عز وجل- على الإنسان، فإن فرائضهم تلي ذلك في الفضل بعد الفرائض بأنواعها.

والفرائض التي هي لله، والفرائض التي للخلق أفضل العمل فيها ما كان أعظم نفعًا وأجرًا، وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث بأفضل العمل وهو الجهاد، وهو إذا كان فرضًا فهو داخل في الايمان بالله، وإن كان نفلاً فهو إشارة إلى أفضل الأعمال من التطوعات، والجهاد نوعان:

- جهاد بالسيف والسنان وهو الذي ينصرف إلى الذهن عن الإطلاق.
- وجهاد بالعلم والبيان وهو الأصل الذي يكون مبدأ العمل.

فإن الجهاد بالعلم والبيان هو الذي أمر به أولاً في قوله تعالى: «وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا» فينبغي للمؤمن أن يعي هذا الترتيب في فضائل العمل؛ حتى يسابق إلى الله -عز وجل- بالتقرب إليه بالأفضل في الفرائض وفي النوافل، فانظر إلى قلبك وما حواه من عقائد من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وانظر إلى عملك فتش عن الفرائض ومدى إقامتك لها، ثم بعد ذلك تقرب إليه بسائر ما يفتح الله عليك من النوافل وابحث عن الأنفع والأعلى والأقرب.

وإذا فتح لك في باب فالزمه، فما كان أصلح لقلبك، فهو أفضل من غيره (وينظر شرح الحديث في الفتح وشرح النووي على صحيح مسلم وفتح المنعم شرح صحيح مسلم).

وفي هذا القدر في شهرنا هذا الكفاية، وللحديث صلة في الحلقة القادمة إن شاء الله والحمد لله رب العالمين.

# أحكام متعلقة بفقه النكاح

**بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

**أما بعد: فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن ولاية الكافر على المسلمة، وولاية المسلم على الكافرة، وولاية المرتد، ونستكمل بعض الأحكام المتعلقة بفقه النكاح؛ سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.**

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

## أولاً: الإشهاد في النكاح:

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: إشهاد عدلين ليس شرطا في صحة النكاح، ويجوز النكاح بغير إشهاد، وهذا مذهب مالك ورواية عن أحمد وشيخ الإسلام وأهل الظاهر وغيرهم.

واستدلوا على ذلك بما يأتي: أن اشتراط الشهادة في النكاح ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة، ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه حديث، وما ورد من زيادة «... وَشَاهِدَي عَدْلٍ» فهي ضعيفة لا يحتج بها. (مجموع الفتاوى ٣٢/١٢٨).

القول الثاني: لا نكاح إلا بشاهدي عدل، وهذا مذهب الشافعي ورواية عن أحمد وأبي حنيفة.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- قوله تعالى: «وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ» (الطلاق: ٢).

وجه الدلالة: أن الله تعالى لما أمر في الرجعة بشاهدين وهي أخف حالاً من عقد النكاح كان ذلك في النكاح أولى. (الحاوي الكبير ٩/٥٧).

٢- قوله صلى الله عليه وسلم: «لَا نكَاحَ إلَّا بِوَلِيٍّ» (صحيح سنن أبي داود (٢٠٨٥) ومسند أحمد (٤/٣٩٤) وصحيح الترمذي (١١٠١) وابن حبان (٤٠٦٥) وصحيح ابن ماجه (١٨٨١)).

ووردت زيادة في بعض طرق الحديث وهي:

«... وَشَاهدَي عَدْلٍ». (ضعيف: رواه البيهقي في السنن (١٤٠٩١)، والشوكاني في النيل (١٥١/٦)، وقال الحافظ في التلخيص (٣٥٢/٣) المحفوظ الموقوف، وضعَّفه الألباني في الإرواء (٢٤٢/٦) قال: أخرجه ابن عدي في الكامل (ق١٥٣/٢) والطبراني في الأوسط (٢/١٦٤/١) من طريق سليمان بن أرقم، قال: وهو متروك الحديث كما في المجمع (٢٨٦/٤)).

وجه الدلالة: دلَّ الحديث على أن الشهادة في النكاح واجبة. (الحاوي الكبير ٥٧/٩).

٣- إن الحاجة مسَّت إلى دَفع تهمة الزنا عنها ولا تندفع إلا بالشهود؛ لأنها لا تندفع إلا بظهور النكاح واشتهاره ولا يشتهر إلا بقول الشهود.

٤- إن اشتراط الشهادة في النكاح فيه صيانة للأعراض منعًا من جحود النكاح وإنكاره، إذ لو لم تشترط الشهادة في النكاح لأدى إلى جحود النكاح وإنكاره. وهذا الإنكار يندفع بالظهور والاشتهار. (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ٢٥٣/٢).

أقوال أهل العلم:

### أولا: من قال بعدم اشتراط شاهدي عدل في صحة النكاح.

قال ابن قدامة في المغني (٣١٥/٦): وعن أحمد أنه يصح بغير شهود وفعله ابن عمر والحسن بن علي... ثم قال: قال ابن المنذر: لا يثبت في الشاهدين في النكاح خبر.

وقال ابن عبد البر: قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم «لا نِكَاحَ إلَّا بِوَلِيٍّ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ» من حديث ابن عباس وأبي هريرة وابن عمر إلا أن في نقله ذلك ضعيفًا فلم أذكره.

قال ابن حزم في المحلى (٤٨/٩): "ولا يتم النكاح إلا بإشهاد عدلين فصاعدًا أو بإعلان عام، فإن استكتم الشاهدان لم يضر ذلك شيئًا".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٢٨/٣٢): "واشتراط الإشهاد وحده ضعيف، ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة، فإنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه حديث".

### ثانيا: من قال باشتراط شاهدي عدل في صحة النكاح.

قال الكاساني في بدائع الصنائع (٢٥٢/٢-٢٥٣): "قال عامة العلماء: إن الشهادة شرط جواز النكاح.... ولو لم تكن الشهادة شرطا لم تكن زانية بدونها، ولأن الحاجة مست إلى دفع تهمة الزنا عنها ولا تندفع إلا بالشهود؛ لأنها لا تندفع إلا بظهور النكاح واشتهاره ولا يشتهر إلا بقول الشهود وبه تبين أن الشهادة في النكاح ما شرطت إلا في النكاح للحاجة إلى دفع الجحود والإنكار؛ لأن ذلك يندفع بالظهور والاشتهار لكثرة الشهود على النكاح بالسماع من العاقدين وبالتسامع وبهذا فارق سائر العقود فإن الحاجة إلى الشهادة هناك لدفع احتمال الشهود النسيان أو الجحود والإنكار في الثاني إذ ليس بعدها ما يشهرها ليندفع به الجحود فتقع الحاجة إلى الدفع بالشهادة فندب إليها، وما روي أنه نهى عن نكاح السر فنقول: بموجبه لكن نكاح السر ما لم يحضره شاهدان فأما ما حضره شاهدان فهو نكاح علانية لا نكاح سر؛ إذ السر إذا جاوز اثنين خرج من أن يكون سرًّا.

قال الماوردي في الحاوي الكبير (٥٧/٩): بعد أن ذكر حديث الباب: وهذا صحيح، الشهادة في النكاح واجبة. وقال داود: غير واجبة وبه قال من الصحابة علي بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير وعمر وعبد الله بن عباس.ومن التابعين سعيد بن المسيب والحسن البصري والنخعي. ومن الفقهاء: أبو حنيفة والثوري وأحمد بن حنبل ومالك وأبو ثور غير أن مالكًا جعل الإشهاد به وترك التراخي بكتمه شرطا في صحته... إلى أن قال: ودليلنا قوله تعالى: «وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ» (الطلاق: ٢)- فلما أمر بالرجعة بشاهدين وهي أخف حالاً من عقد النكاح كان ذلك في النكاح أولى.

قال ابن قدامة في المغني (٣١٥/٦): إن النكاح لا ينعقد إلا بشاهدين، هذا المشهور عن أحمد وروي ذلك عن عمر وعلي وهو قول ابن عباس وسعيد بن المسيب.

## تعقيب وترجيح

والذي أختاره في ذلك وأرجحه بعد عرض أقوال أهل العلم هو ما ذهب إليه الأئمة مالك وأحمد في أحد قوليه وشيخ الإسلام ابن تيمية من أن الإشهاد ليس شرطا في صحة النكاح لضعف الحديث المستدل به، أما الآية الكريمة فقد أمر الله تعالى بالإشهاد في الرجعة، والرجعة هي إعادة نكاح سابق، والله أعلم.

قال بعض أهل العلم: وأما الإشهاد على الرجعة فإنما أمر به لئلا يحصل نزاع بين الزوج والزوجة، فيدعي مثلاً أنه راجعها وهي تنكر ذلك فيحصل نزاع بينهما وبالتالي ربما تقضي بعدم الرجوع وتبيحها لزوج آخر وهو قد ردها فيكون في هذا مفسدة، أما النكاح ابتداءً فليس فيه نزاع ولا هو محل للنزاع. (انظر الشرح الممتع ١٥٩/٥).

قال شيخ الإسلام: والله أمر بالإشهاد في الرجعة لئلا ينكر الزوج ويدوم على امرأته، فيفضي إلى إقامته معها حرامًا. (مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٢٩/٣٢).

## ثانيا: إعلان النكاح:

عن حاطب الجمحي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَصْلُ مَا بَيْنَ الْحَرَام وَالْحَلالِ الدُّفُ وَالصَّوْتُ» (صحيح سنن الترمذي (١٠٨٨) والمصنف لابن أبي شيبة (٦٤٠٠)، وصحيح ابن ماجه (١٨٩٦)، وصحيح النسائي (٣٣٦٩)).

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (١٧٧/٤): "قال ابن مالك: ليس المراد أن لا فرق بين الحلال والحرام في النكاح إلا هذا الأمر، فإن الفرق يحصل بحضور الشهود عند العقد بل المراد الترغيب إلى إعلان أمر النكاح بحيث لا يخفى على الأباعد، فالسُّنة إعلان النكاح بضرب الدف وأصوات الحاضرين بالتهنئة أو النغمة في إنشاد الشعر المباح... قال المهلب: في هذا الحديث إعلان النكاح بالدف والغناء المباح. انتهى.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٢٧/٣٢-١٣١) باختصار: كان عمر بن الخطاب يضرب على نكاح السر، فإن نكاح السر من جنس اتخاذ الأخدان شبه به، لا سيما إذا زوجت نفسها بلا ولي ولا شهود وكتما ذلك فهذا مثل الذي يتخذ صديقة ليس بينهما فرق ظاهر معروف عند الناس يتميز به عن هذا، فلا يشاء مَن يزني بامرأة صديقة له إلا قال: تزوجتها، ولا يشاء أحد أن يقول لمن تزوج في السر أنه يزني بها إلا قال ذلك، فلا بد أن يكون بين الحلال والحرام فرق مبين، قال تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّه لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ» (التوبة: ١١٥)، وقال تعالى: «وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ» (الأنعام: ١١٩)... إلى أن قال: وقد اختلف العلماء فيما يتميز به هذا عن هذا، فقيل: الواجب الإعلان فقط سواء أشهد أو لم يشهد، كقول مالك وكثير من فقهاء الحديث وأهل الظاهر وأحمد في رواية.

وقيل: الواجب الإشهاد سواء أعلن أو لم يعلن، كقول أبي حنيفة والشافعي ورواية عن أحمد.

وقيل: يجب الأمران وهو الرواية الثالثة عن أحمد، وقيل يجب أحدهما وهو الرواية الرابعة عن أحمد... إلى أن قال: فالذي لا ريب فيه أن النكاح مع الإعلان يصح وإن لم يشهد شاهدان، وأما مع الكتمان والإشهاد فهذا ما ينظر فيه، وإذا اجتمع الإشهاد والإعلان فهذا لا نزاع في صحته، وإن خلا عن الإشهاد والإعلان، فهو باطل عند العامة، فإن قدر فيه خلاف فهو قليل... ثم يقال بما يميز هذا عن المتخذات أخدانا.

تعليق:

من تأمل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية يجد أن جمهور العلماء اختلفوا فيما يتميز به النكاح الصحيح من الفاسد، فذهب فريق إلى أن النكاح بغير إشهاد باطل، وقال آخرون الإعلان شرط في صحة النكاح، ولم يذهب أحد من الأئمة الأربعة ولا أهل الظاهر إلى جواز النكاح بغير إشهاد ولا إعلان... فتأمل. وللحديث صلة إن شاء الله.

صحيح البخاري

# السنة النبوية بين الحقيقة ومزاعم التجديد

إعداد: **د. عبد الوارث عثمان**
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد انهال أصحاب دعوات التجديد والتغيير على شريعة الإسلام الغراء المحفوظة بمعاول البتر والتجزئة والتحريف والتبديل، مستعينين بأحلاس الفتنة من أدعياء العلم، وهم غرباء عن علوم الشريعة الإسلامية، وهم فوق ذلك يجهلون أحكام القرآن الكريم وعلومه، فتراهم لا يتكلمون إلا بالروايات الباطلة والأحاديث الموضوعة والمفاهيم المقلوبة المغلوطة، ويمجّدون الشاذ من الآراء، ويتلقفون الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام من المستشرقين والمنصرين على أنها حقائق واقعة.

وفي الواقع فإن بعض المتلقفين لهذه الشبهات هم أشد من المستشرقين والمنصرين هوًى وعصبيةً وعداءً ظاهرًا للإسلام وشريعته وأمته؛ وزادوا فوق ذلك الإسفاف في العبارة، وأتوا في تناولهم للصحابة بألفاظ نابية عارية من كل أدب ومروءة، واستخفوا بأحكام الإسلام ومصادره وثوابته وضرورياته.

### من جهود علماء المسلمين في علوم السنة:

من المعروف أن هناك العديد من العلوم التي ابتكرها المسلمون منذ قرون عديدة لضبط مرويات الأحاديث النبوية؛ مثل: علم أصول الحديث، وعلوم الرجال والجرح والتعديل، والعلل، وغيرها من العلوم التي تهدف إلى تقديم النموذج المحكم لكل ما يتعلق برواية الأحاديث النبوية: متنًا وإسنادًا وتحقيقًا وتدقيقًا ورواية ودراية، وذلك بعد أن جمعت مرويات الأحاديث في مدونات أهل الإسلام في الصحاح، والسنن، والموطآت، والمصنفات، والمسانيد، والمعاجم، والمشيخات، وغيرها.

وقد كان الدافع لعلماء المسلمين منذ العصر الأول للإسلام وراء الحرص الشديد والاهتمام العظيم بالأحاديث النبوية هو أن السنة تمثل الأصل الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض» أخرجه الدارقطني (٤/ ٢٤٥)، والحاكم (٣١٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١١٤)، وأخرجه مالك في الموطأ بلاغًا الموطأ (٢/ ٨٩٩ / ١٥٩٤).

وقال ابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٣٣١): «وهذا أيضًا محفوظ معروف مشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم شهرة، يكاد يستغني بها عن الإسناد. وروى في ذلك من أخبار الآحاد أحاديث من أحاديث أبي هريرة وعمرو بن عوف».

وفي رواية: "قد تركت فيكم اثنتين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي". جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢٢٩٩).

والقرآن الكريم بين للمسلمين أن الله أنزل القرآن الكريم على نبيه صلى الله عليه وسلم؛ ليبينه ويوضحه للناس كافة على اختلاف اشكالهم وألوانهم والسنتهم، وعقولهم ومداركهم. فقال تعالى: «وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ» (النحل: ٤٤).

وقد فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ما أمره الله به، وكانت سُنته المتمثلة في أقواله وأفعاله وما أقره في تصرفات من حوله وصفاته الخَلقية والخُلقية بالنسبة القرآن الكريم بمثابة: تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره.

### تمحيص مرويات السنة:

ومن هذا المنطلق تضافرت جهود علماء الإسلام إلى الفحص والتمحيص والدراسات الواسعة المتأنية الجادة فيما يتعلق بهذا الأصل الثاني للإسلام، ووضعوا الأسس القوية والقواعد المحكمة والمبادئ الرشيدة، وقد أبلى علماء الإسلام في هذا المجال بلاءً حسنًا، حفظ الله به السنة المباركة، بعد أن قاموا بتوثيق المرويات عن الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث وضع القرآن الكريم لهم أهم قاعدة من قواعد النقد التاريخي وتوثيق الأخبار والآثار في قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ» (الحجرات: ٦).

وتتبلور هذه القاعدة في أن أخلاق الراوي واتقان حفظه وقوة ضبطه وحسن سلوكه وصدقه في نقله؛ تعد عاملاً أساسيًا ورئيسًا في الحكم على روايته من حيث القبول والرد، وقد أفاد المسلمون إفادة عظيمة من هذه القاعدة وطبقوها على رواة الأحاديث النبوية، وقد كان تطبيق هذا المنهج النقدي على رواة الأحاديث هو الذي تطورت عنه تدريجيًا قواعد النقد التاريخي.

فقد وضع علماء الإسلام خمسة من الشروط بها يحكمون على المروي بالصحة، وهي:

١- تحقق عدالة الرواة.

٢- تحقق ضبط الرواة للمروي، سواء كان ضبط صدر أو ضبط كتاب.

٣- اتصال السند.

٤- الخلو من الشذوذ، ولا يعرف إلا بجمع طرق الحديث المختلفة التي ظاهرها الصحة.

٥- الخلو من العلة القادحة في الأحاديث التي ظاهرها الصحة.

وهي شروط غاية في الدقة.

ومع ذلك لا يمل أولئك الذين يطعنون في الإسلام بغير علم أو أدنى فهم ابتغاء الظهور والانتشار وإصابة ما يمكن إصابته من أغراض الدنيا الفانية بعد إفلاسهم ثقافيًا وعلميًا في المجالات المختلفة فانتهجوا مبدأ المخالفة والشذوذ ليعرفهم الناس ويلفتوا الأنظار إليهم، استغلالاً للظروف الصعبة التي يمر بها الإسلام، وتتعرض لها شريعته في ظل جهل

البعض بمقاصد الشريعة ومراميها، وعلومها التي لا نظير لها في توثيق أي ديانة على ظهر البسيطة، ولا شبيه لها في إثبات نسبة القول إلى قائله بطرق متعددة.

ويستطيع المسلم بحق أن يفتخر ويعتز بها ويثق فيها ويعتمد عليها في العمل بسنة سيد الأولين والآخرين رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم.

ولكن البعض عندما يفقد تركيزه وينعدم استعيابه ويفكر بعقل غيره ويستلهم حلول قضاياه من وحي عدوه ومنهجه ومعتقده؛ يصبح معول هدم وتدمير لمتلكاته الفريدة ومناهجه الإسلامية الرشيدة وعلومه النافعة المجيدة التي هي من أخص العلامات الدالة على إسلاميته وأوضح البراهين على معالم شخصيته وهويته وانتمائه.

ولما كان الصحابة رضوان الله عليهم يعلمون مكانة السنة من دين الإسلام وموضعها من القرآن الكريم اعتنوا بالأحاديث النبوية عناية فائقة وحرصوا عليها حرصهم على القرآن الكريم يحفظوها بلفظها أو بمعناها وفهموها وعرفوا مغازيها ومراميها بسليقتهم وفطرتهم العربية وطبقوها تطبيقا دقيقا ليتعبدوا بها ويتقربوا إلى الله تعالى وقد ساعدهم ذلك على قوة الحفظ وتمامه وضبطه وتعليمه لمن بعدهم قولا وبيانا واقعيا.

واهتموا رضى الله عنهم بما كانوا يسمعونه من أقواله صلى الله عليه وسلم، وكانوا يشاهدون من أفعاله وأحواله، وما كانوا يعاصرونه من الظروف والملابسات والمناسبات التي قيلت فيها هذه الأحاديث وما كان يشكل عليهم منها ولا يدركون المقصود منه يسألون عنه النبي صلى الله عليه وسلم فحرصوا على سماع الوحي ومعرفة السنن من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد دفعهم لذلك ما يلي:

أولا: أنهم كانوا يعلمون أن السنة هي الأصل الثاني للدين الإسلامي ولا يمكن لعبادة الله أن تتحقق إلا باتباعه صلى الله عليه وسلم اتباعا صادقا في كل ما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله وأحواله مشتملة على أوامره ونواهيه وارشاداته وأخلاقياته وطريقة تعبده لله الواحد القهار بما يضمن لهم سلامة العبادة وصحتها.

ثانيا: أنهم كانوا يحبون النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من حبهم لأنفسهم والوالد والولد والناس أجمعين.

ثالثا: أنهم كانوا يجدون في الاستماع إليه لذة وسكينة طيبة.

رابعا: أنهم يعتقدون اعتقادا جازما أنه ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

خامسا: أنهم كانوا يجدون فيما يسمعونه منه صلى الله عليه وسلم غذاء الإيمان وزيادته والإحساس بحلاوته وزاد التقوى، وأنه سبيل إلى الجنة، وطريق لتحقيق غايتهم من عبادتهم المتمثلة وهي نيل رضا الله تعالى.

والناظر في كل هذا يدرك مبلغ حرص الصحابة- رضي الله عنهم- على استماع الأحاديث والسنن وحفظها بعناية فائقة ودقة بالغة، وأن ذلك يكاد يكون من المسلمات البدهيات.

وكذلك عنوا بتبليغ ما حفظوه من أقواله وما شاهدوه من أفعاله؛ لأنهم يعلمون أنها دين واجبة البلاغ للناس كافة دون زيادة أو نقصان، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحضهم على التبليغ والأداء لغيرهم بمثل قوله: «نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها عني، فرُبّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه» أخرجه ابن ماجه (٢٣٦).

وكثيرا ما كان يقرع أسماعهم بقوله: «من سئل عن علم، فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة» أخرجه أبو داود (٣٦٥٩)، والترمذي (٢٨٤٠)، وابن ماجه (٢٦١) (٢٦٦).

### استقلال السنة بالتشريع:

وفي بعض الأحيان تستقل السنة بالتشريع، وذلك كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، أو خالتها وتحريم سائر القرابات من الرضاعة- عدا ما نص عليه في القرآن- إلحاقا لهم بالمحرمات من النسب وتحريم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير، وتحليل ميتة البحر، والقضاء باليمين مع الشاهد من الأحكام التي زادتها السنة عن الكتاب.

وعلى المرء المسلم أن يتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن قبول طاعته يتوقف على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه.

وكذلك حب الله تعالى يتبعه حب النبي صلى

الله عليه وسلم، فلو جاء المرء من كل طريق واستفتح عليه من كل باب لن يفتح الله له إلا إذا جاء من طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وبابه؛ فوجوب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم هي القاعدة العامة التي لا يمكن لمسلم عاقل أن يخالفها مادام في قلبه مثقال ذرة من إيمان بالله تعالى.

ورغم الأدلة اليقينية بوجوب اتباع السنة النبوية المطهرة؛ فقد سمعنا أن أناسًا أنكروا تلك الشمس الساطعة، وكانت بدايتهم في القرن الثاني الهجري، وقد دحض مزاعمهم الإمام الشافعي حتى تاب بعضهم، فلما جاء القرن الثالث الهجري الذي يعد بمثابة العصر الذهبي للسنة النبوية؛ تم تنقيتها وجمعها وتدوينها؛ فظهر مسند الإمام أحمد بن حنبل، وصحيح البخاري وصحيح مسلم، وسنن: أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه وغيرها كسنن الدارمي، ومسند البزار، ومسند أبي يعلى.

ويظهر من كتاب مختلف الحديث لابن قتيبة وهو من علماء القرن الثالث الهجري حيث كانت وفاته سنة ٢٧٦هجرية الذي ألفه للرد على الشبه التي أوردها أعداء السنة على بعض الأخبار المشكل فهمها لأول وهلة، والجمع بين الأحاديث التي زعموا أنها متناقضة، وقد اختفى هذا الزعم الباطل الزائف؛ لأنه يتعلق بأصل من أصول الدين يجب أن يقوم الإيمان بها على أكمل اليقين القاطع الذي لا يعتوره شك في أي لحظة من اللحظات.

حتى طلع على المسلمين القرن التاسع الهجري، فأحيا رافضي زنديق الذي مات منذ أزمان، أنكر حجية سنة خير الأنام صلى الله عليه وسلم، وادعى أنه لا حجة إلا بالقرآن، وقد تصدى لزعمه هذا الإمام السيوطي في كتابه "مفتاح الجنة في الاهتمام بالسنة"؛ حتى أجهز على زعمه، فلم تقم له من بعده قائمة.

وفي بداية القرن الرابع عشر الهجري أطل علينا هذا التخرص الباطل والزعم المنكر والادعاء الزائف في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي، خاصة في شبه القارة الهندية- باكستان وبنجلادش والهند- وبعض البلاد العربية، وقد كان هذا الفكر المنحرف في بلادنا العربية فكر أفراد لا فكر جماعات منظمة وقد أذاعوه على الناس في مقالات مطولة في بعض المجلات تحت مسميات زائفة، وألف أحدهم كتابًا أطلق عليه "أضواء على السنة المحمدية"، يشتمل على ما تقحّموه من فكر مستبشع فاسد، ولم يلق قبولاً لا عند عامة الناس ولا عند علمائهم.

أما في شبه القارة الهندية؛ فإن هذا الفكر الضال لم يكن فكرًا فرديًا، وإنما تبنته جماعة سموا أنفسهم كذبًا وزورًا باسم "القرآنيين".

وهذا الاسم أطلقه الأفراد المنكرين لحجية السنة في مجتمعنا العربي أيضًا على أنفسهم وهم شرذمة قليلون لا تعبأ بهم جمهرة المسلمين، وهذا الاتجاه يكشف عن سوأة الإلحاد، ويبين أن صاحب هذه الأفكار يدس من ورائه لونًا خبيثًا من الإلحاد المستتر، وأن هناك من يلتقطون شذرات هذا الإلحاد لينظموا منه عقدًا مكتومًا وكتابًا مقروءًا للإضلال وتحريف كلم الله تعالى.

وفي موضوعات الكتاب تستتر وراء التفلسف الأجوف والمرمز المبرسم، وهدفهم من ذلك هدم دين الإسلام، وتقويض أركانه لعلمهم أن القرآن الكريم بدون السنة النبوية لا يمكن العمل به.

وقد تنبأ النبي صلى الله عليه وسلم بظهور من يتجرأ على إعلان هجر سنته واقصاء هديه عن حياة المسلمين وذلك حين قال: «يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته يُحدَّث بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله» أخرجه أحمد (١٧١٩٤)، وأخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

فهؤلاء ظهورهم ليس إلا دليلاً على صدق دعوته، وبرهانًا على نبوته عليه الصلاة والسلام.

وللحديث صلة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# أثر الأوبئة في أداء مناسك الحج

إعداد **د. محمد عبد العزيز**

**«ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا» (الإسراء: ١١١)، والصلاة والسلام على نبيه المجتبى ورسوله المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:**

**فإن من الأصول العامة والكليات والقواعد الجامعة في الشريعة: أن الضرر يُزال.**

**ولعل هذه القاعدة هي شرط الفقه، فإن مقصود الأحكام الفقهية كلها جلب المنافع ودفع المضار، وهي قاعدة كلية من القواعد الخمسة الكبرى التي يدور عليها الفقه، وهذه القاعدة معمول بها لدفع الضرر عن الضروريات الخمسة المعتبرة بالإجماع.**

**والضرورات الخمسة التي جاءت الشريعة بحفظها هي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العرض، وحفظ المال. (ينظر: تشنيف المسامع، للزركشي (٣/ ٤٦٤)، والغيث الهامع، لابن العراقي (ص ٦٥٩).**

فإذا تقرر ما سبق، فإن فريضة الحج هذا العام، والعام المنصرم قد أدركت الناس وقد عمهم هذا الوباء الخطير الذي انتشر في أرجاء الأرض -كوفيد١٩- وهو وباء تنتشر عدواه عبر المخالطة أو الملامسة لشخص مصاب بالفيروس المسبب للمرض والذي اصطلح على تسميته بـ: كورُونا، ولذا فإن دول العالم كافة تقريبًا قد اتخذت كثيرًا من الاحترازات الوقائية للتقليل من انتشار هذا المرض الوبائي إلى أن يأذن الله باكتشاف الدواء الناجع له، وقد خرجت قرارات المجامع الفقهية بتأييد كثير من هذه الاحترازات فقد جاء في التَّوصية الرَّابعة من توصيات النَّدوة الطبية الفقهيَّة الثانية لمجمع الفقه الإسلامي الدولي حول فيروس كورُونا وما يتعلق به، -المنعقدة افتراضيًا- في: ٢٣ من شهر شعبان ١٤٤١هـ الموافق: ١٦ أبريل ٢٠٢٠م ما يلي: «يجوز للدُّول والحكومات فرض التَّقييدات على الحريَّة الفرديَّة بما يحقق المصلحة

سواء من حيث منع الدخول إلى المدن والخروج منها... كما أنه يجب الالتزام بقرارات الدول والحكومات بما يسمى التباعد الاجتماعي ونحو ذلك ممَّا من شأنه المساعدة على تطويق الفيروس، ومنع انتشاره لأنَّ تصرفات الإمام منوطة بالمصلحة، عملاً بالقاعدة الشرعية التي تنص على أنَّ تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة».

وقد اتخذت السلطات المشرفة والمنظمة للنسك في المملكة العربية السعودية هذا العام عددًا من الاشتراطات والاحترازات لأداء نسك الحج هذا العام، وأهم هذه الاشتراطات:

١ - حصول الحجاج على جرعات اللقاح المعتمدة بالمملكة -اللقاحات المعتمدة بالمملكة هي: استرازينيكا، وجونسون، وفايزر، ومودرينا- قبل مطلع شهر ذي الحجة، مع إثبات ذلك بشهادة موثقة من بلد الراغب في الحج، على أن تكون الجرعة الثانية من اللقاح قبل دخول المملكة بنحو أسبوع.

٢ - إلزامية ارتداء الكمامة لجميع الحجاج والعاملين في جميع الأوقات.

٣ - حصول الحاج على نتيجة فحص مخبري معتمد سلبية لفيروس كورونا، قبل ٧٢ ساعة من الوصول للسعودية.

٤ - الحجر الصحي لمدة: ٧٢ ساعة بعد وصول الحاج إلى المملكة، وقبل السماح له بالانتقال إلى أماكن النسك.

٥ - تتخلل هذه الفترة إعادة الفحص المخبري المعتمد بعد ٤٨ ساعة عن طريق جهة متعاقدة مع مقدم الخدمة الميدانية للحجاج.

ومعنى هذا أنه: إذا ثبت سلبية الفحص المخبري سمح له بأداء المنسك، وإذا ثبت إيجابية الفحص رُدّ.

ولذا فسوف أتناول في هذه المقالة أربعة من المسائل المهمة التي سوف يحتاج إليها كثير من الحجاج في ضوء هذه الاحترازات، والتي تعد من محظورات الإحرام، وهي:

### المسألة الأولى: أثر الإحصار بهذا الوباء على الحاج بعد تلبسه بالإحرام، ومنع السلطات له من أداء النسك.

المسألة الثانية: تغطية المحرم وجهه بالكمامة تحرزًا من إصابته بالمرض.

المسألة الثالثة: لبس المحرم للقفازين تحرزًا من إصابته بالمرض.

المسألة الرابعة: استعمال المحرم للمناديل المبللة، والمواد المعقمة.

المسألة الأولى: أثر الإحصار بهذا الوباء على الحاج بعد تلبسه بالإحرام، إذا منعته السلطات من أداء النسك.

الإحصار: الحبس والمنع من أداء النسك، والإحصار يكون بالعدو، وهو مجمع عليه، ويكون بالمرض، ويكون بالنفقة.

ووقوع الإحصار بالمرض هو قول ابن مسعود، وعطاء، والنخعي، والثوري، وأبي ثور، وهو مذهب الحنفية، ورواية عن أحمد، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو مذهب الظاهرية.

قال ابن حزم في المحلى (٢٠٣/٧): «وأما الاحصار فإن كل من عرض له ما يمنعه من إتمام حجه، أو عمرته، قارنًا كان، أو متمتعًا، من عدو، أو مرض، أو كسر، أو خطأ طريق، أو خطأ في رؤية الهلال، أو سجن، أو أي شيء كان فهو محصر». [ينظر: البحر الرائق، لابن نجيم (٥٨/٣)، وبدائع الصنائع، للكاساني (١٧٥/٢)، والمغني، لابن قدامة (٣٣١/٣)، والإنصاف، للمرداوي (٥٢/٤).

وهو الراجح إن شاء الله تعالى؛ لقوله: « وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ » (البقرة: ١٩٦)، وهو لفظ عام يشمل جميع أنواع الإحصار، فعلى من خصصه بالعدو الدليل.

وعلى هذا فمن أحصر عن الحج هذا العام بسبب المرض، أو فقد شرط بعد تلبسه بالإحرام فهو أمام إحدي الصورتين:

الصورة الأولى: أن يكون اشترط قبل الإهلال بالإحرام والدخول في النسك فهذا يحل من إحرامه ولا شيء عليه، لحديث عائشة

-رضي الله عنها- قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضباعة بنت الزبير، فقال لها: لعلك أردت الحج؟

قالت: والله لا أجدني إلا وجعة.

فقال لها: حجي واشترطي، وقولي: اللهم محلي حيث حبستني» أخرجه البخاري (٥٠٨٩)، ومسلم (١٢٠٧).

فقوله: حجي واشترطي: أي: أحرمي بالحج واجعلي شرطا في حجك عند الإحرام، وهو اشتراط التحلل متى احتجت إليه.

وقوله: محلي حيث حبستني: أي: موضع إحلالي من الأرض حيث حبستني، أي: هو المكان الذي عجزت عن الإتيان بالمناسك وانحبست عنها بسبب قوة المرض.

الصورة الثانية: ألا يكون قد اشترط قبل إحرامه بالحج فيمنع عنه، فهذا عليه ذبح هدي الإحصار في مكانه الذي هو فيه إن تمكن من ذلك سواء كان في الحل أو الحرم، أو التوكيل في ذبحه، ثم الحلق أو التقصير ثم الإحلال من الإحرام، للآية السابقة، ولفعله صلى الله عليه وسلم في عمرة الحديبية في ذي القعدة من العام السادس للهجرة، والحديث البخاري (٢٧٣١).

## المسألة الثانية: تغطية المحرم وجهه بالكمامة تحرزًا من إصابته بالمرض.

اختلف أهل العلم في حكم تغطية المحرم لوجهه على قولين:

الأول: أنه يباح للمحرم تغطية وجهه، وهو فعل عثمان، وزيد بن ثابت، ومروان بن الحكم، وهو مذهب الشافعية، والحنابلة، واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١ - حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الذي وقصته ناقته: «ولا تُخَمِّروا رأسه: فإنَّ الله يبعثه يوم القيامة مُلَبِّيًا» أخرجه البخاري (١٢٦٦)، ومسلم (١٢٠٦).

ووجه الشاهد فيه: الاستدلال بمفهوم المخالفة وهو النص على عدم تغطية الرأس فدل ذلك على أن باقي الجسد بخلافه، والمحرم الحي مثله.

٢ - عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه: «أنَّ عُثمانَ بنَ عفَّانَ، وزيدَ بنَ ثابت، ومَرْوانَ بن الحكم كانوا يُخَمِّرون وُجوهَهم وهُم حُرُمٌ» رواه البيهقي (٨٨٧٠). وصَحَّح إسناده النووي في المجموع (٢٦٨/٧).

قال أبو الفرج بن قدامة في الشرح الكبير (٢٧١/٣): «لا نعرف لهم مخالفًا في عَصْرِهم، فكان إجماعًا».

وعلى هذا فلبس الكمامة للمحرم مباح لاسيما عند الحاجة كهذه المسألة.

الثاني: أنه يحرم تغطية الرجل المحرم وجهه وهو قول الحنفية، والمالكية، واستدلوا بالآتي:

١- حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في المحرم الذي خَرَّ من بعيره: «ولا تُخَمِّرُوا وَجْهَهُ، ولا رَأْسَهُ» رواه مسلم (١٢٠٦).

وهو استدلال بالمنطوق، فكان نصًا في المسألة.

٢- حديث نافع قال: كان ابن عمر -رضي الله عنهما- يقول: «ما فوق الذقن من الرأس، فلا يخمره المحرم» أخرجه مالك في الموطأ في الحج، باب: تخمير المحرم وجهه (١١٧٢).

وبه تبطل دعوى إجماع الصحابة على جواز تغطية الوجه.

وهذا القول هو الراجح، وعليه فلبس الكمامة للمحرم لا يجوز، فإن احتاج للبسها فلا إثم عليه، وعليه كفارة الأذى، وستأتي قريبًا.

## المسألة الثالثة: لبس المحرم للقفازين تحرزًا من إصابته بالمرض:

لا يجوز للمحرم لبس القفازين قولاً واحدًا، لحديث ابن عمر، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- «ولا تنتقب المرأة الحرام، ولا تلبس القفازين» أخرجه البخاري (١٨٣٨).

القفاز بزنة رمان: ما يلبس في اليدين.

وانما نص في الحديث على المرأة لأن الرجل لم يكن يلبس القفازين، فالرجل مقيس عليها فلا مفهوم لذكر المرأة لأنه خرج مخرج الغالب.

فإن احتاج المحرم أن

يلبس القفازين لحاجة طبية جاز وارتفع عنه الإثم، وعليه كفارة الأذى.

**المسألة الرابعة: استعمال المحرم للمناديل المبللة، والمواد المعقمة:**

**أولاً: المناديل المبللة لها أنواع:**

١- أن تكون معطرة فهذه منهي عنها؛ لأنها في معنى الطيب، فإن احتاج لاستخدامها ضرورة فليس عليه إثم وعليه كفارة الأذى، لحديث ابن عمر -رضي الله عنه- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يجتنبه المحرم: «ولا ثوبًا مَسَّه الزعفرانُ ولا وَرْسٌ» رواه البخاري (٣٦٦)، ومسلم (١١٧٧).

الوَرْس: نباتٌ يكون باليمن، صبغتُه ما بين الصُّفرة والحُمْرة، ورائحتُه طيِّبة. ينظر: الاستذكار، لابن عبد البر (١٩/٤).

وقد نبه الزعفران والورس على ما في معناهما.

وحديث ابن عباس -رضي الله عنهما- في الذي وقصته ناقته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اغسلوه بماء وسدر، وكفِّنوه في ثوبين، ولا تُمِسُّوه طيبًا» وقد سبق.

وقال ابن حزم في مراتب الإجماع (ص ٥٠): «واتفقوا أنه يجتنب استعمال الطيب، والزعفران، والورس، والثياب المورسة، والمزعفرة، واتفقوا أن المرأة المحرمة تجتنب الطيب كما ذكرنا».

٢ - أن تكون غير معطرة، فليس في استخدامها بأس.

**ثانيًا: المواد المعقمة**، فهذه لا بأس باستعمالها؛ لأنها ليست طيبًا، ولا هي في معنى الطيب.

**كفارة الأذى:**

**الفدية في كفارة الأذى أحد أمور ثلاثة على وجه التخيير:**

**الأول:** صيام ثلاثة أيام في أيام الحج أو بعده، وفي الحرم أو أي مكان.

**الثاني:** إطعام ستة مساكين من مساكين الحرم، لكل مسكين نصف صاع من طعام.

**الثالث:** ذبح شاة في الحرم، ويفرق لحمها على فقراء الحرم.

١- لقوله تعالى: «وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ، فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ» (البقرة: ١٩٦)؛ ففي الآية التخيير بين هذه الخصال الثلاثة، والنسك قد جاء بيانه في حديث كعب بن عجرة -رضي الله عنه- وأنه شاة.

٢ - حديث عبد الله بن معقل قال: جلسْتُ إلى كَعْب بن عُجْرَةَ -رضي الله عنه-، فسألتُه عن الفِدْيَة، فقال: «نزلت في خاصَّة، وهي لكم عامَّةً؛ حُملتُ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم والقَمْل يتناثَرُ على وجهي. فقال: ما كنتُ أرَى الوجَعَ بلَغَ بك ما أرَى أو ما كنتُ أرى الجَهْدَ بلغ بك ما أرَى. تجدُ شاةً؟ فقلتُ: لا. فقال: فصُمْ ثلاثة أيام، أو أطعِمْ ستَّة مساكينَ؛ لكل مسكين نصفُ صاعٍ» أخرجه البخاري (١٨١٦)، ومسلم (١٢٠١).

**ولفاعل محظورات الترفه أحوال ثلاثة:**

**الأول:** أن يفعل المحظور تعمدًا بغير حاجة، فهذا آثم، وعليه الفدية.

**الثاني:** أن يفعل المحظور جهلاً أو نسيانًا، فلا إثم عليه، ولا فدية على الراجح.

**الثالث:** أن يفعل المحظور، لحاجة، فلا إثم عليه، وعليه الفدية.

وقد سبق في أول المقال أن معظم أحكام هذا الباب، بل جُل أحكام الفقه قائمة على قاعدة: الضرر يزال، فهي شرط الفقه.

هذا ما يسره الله تعالى في هذا المحل، والله أعلى وأعلم وأحكم.

## عزاء واجب

تُوفي إلى رحمة الله الأستاذ حسام مصطفى زارع شقيق الشيخ /عبد الهادي زارع رئيس فرع الصنافين. وتتقدم أسرة تحرير المجلة بخالص العزاء للأسرة. ونسأل الله أن يغفر له وأن يرحمه رحمة واسعة، وأن يدخله فسيح جناته، وأن يرزق أهله الصبر والسلوان.

لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى.

# إرشاد الناسك إلى أحكام المناسك

إعداد معاوية محمد هيكل

الحمد لله الذي جعل الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس وأمنًا، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: "خذو عني مناسككم"، وبعد:

فإن فريضة الحج تأتي على رأس العبادات التي تزخر بمعاني العبودية العظيمة؛ فمظاهر العبودية في مناسك الحج ظاهرة وجَليّة فقد جمع الله عز وجل فيه ألوان العبادات القلبية والقولية والبدنية والمالية، فإن أول شيء يبدأ به الحاج في هذه الشعيرة المباركة ويفتتح به ويستهل هي كلمة التوحيد، وهي المقصود الأعظم لهذا الدين.

قال ابن القيم موضحًا منزلة الحج هو: "خاصة الحنيفة ومعونة الصلاة وسر قول العبد لا إله إلا الله فإنه مؤسس على التوحيد المحض والمحبة الخالصة، وهو استزارة المحبوب لأحبابه ودعوتهم إلى بيته ومحل كرامته، ولهذا إذا دخلوا في هذه العبادة فشعارهم لبيك اللهم لبيك؛ إجابة محب لدعوة حبيبه، ولهذا كان للتلبية موقع عند الله، وكلما أكثر العبد منها كان أحب إلى ربه وأحظى فهو لا يملك نفسه أن يقول لبيك لبيك حتى ينقطع نَفَسُه" (مفتاح دار السعادة ٢/٤).

تعريف الحج لغةً: هو القَصْد أو كثرة القصد إلى من تُعظم. (تفسير القُرطبي ١٢/١٤٠).

الحجُّ اصطلاحًا: هو قَصْدُ المشاعر المقدَّسة؛ لأداء المناسك في مكان ووقت مخصوص تَعَبُّدًا لله عزَّ وجل (مجموع فتاوى ورسائل ابن عُثيمين ٢٤/٢١٥).

### تعريف المواقيت:

"المواقيتَ جمعُ ميقاتٍ، وهو مفعالٌ من الوَقْت، وهو القَدْرُ المحدَّدُ للفعْل من الزَّمان أو المكان". (فتح

الباري: ٢/ ٣).

المواقيتُ اصطلاحًا: زمانُ النُّسك، وموْضعُ الإحرام له (الإقناع لابن قدامة ١/ ٣٤٥).

### مواقيت الحج المكانية:

تتنوّعُ المواقيتُ باعتبار جهتها من الحرَم؛ فلكُلّ جهة ميقاتٌ مُعيّنٌ، ويرجعُ كلامُ أهْل العلْم في المَواقيت إلى ستّة مواقيت: ذو الحليفة، وقرن المنازل، والجحفة، ويلملم، (وذات عرق، والعقيق)، فعَن ابْن عبّاس رضيَ الله عنهما قال: "وقّتَ رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلّم لأهل المدينة ذا الحُليفة، ولأهل الشّام الجحْفة، ولأهل نَجْد قَرْنَ المنازل، ولأهْل اليَمَن يَلَمْلَمَ، فهُنّ لهُنّ، ولمَن أتى عليهنّ من غير أهْلهنّ، لمِن كان يريد الحجّ والعُمْرَة، فمن كان دونهنّ فمُهله من أهْله، وكذاك حتى أهْل مكّة يُهلون منها" (رواه البخاري ١٥٢٦ واللفظ له، ومسلم ١١٨١).

### أنواع الأنساك الثلاثة:

التمتع: أن يحرم بالعمرة وحدها في أشهر الحج (وأشهر الحج هي شوال وذو القعدة وذو الحجة)؛ فإذا وصل مكة طاف وسعى للعمرة وحلق أو قصر من شعره وتحلل من إحرامه، فإذا كان يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة أحرم بالحج وحده وأتى بجميع أفعاله. فالمتمتع يأتي بعمرة كاملة وحج كامل.

والإفراد: أن يحرم بالحج وحده فإذا وصل مكة طاف للقدوم وسعى للحج ولا يحلق ولا يقصَر ولا يحل من إحرامه بل يبقى محرمًا حتى يُحلَ بعد رمي جمرة العقبة يوم العيد، وإن أخّر سعي الحج إلى ما بعد طواف الحج فلا بأس.

والقران: أن يُحرم بالعمرة والحج جميعاً أو يحرم بالعمرة أولا ثم يُدخل الحج عليها قبل الشروع في طوافها. (وذلك بأن ينوي أن طوافه وسعيه عن حجه وعمرته).

وعمل القارن كعمل المفرد سواء إلا أن القارن عليه هدي والمفرد لا هدي عليه.

### أعمال الحج:

يبدأ بالإحرام وهو نية الدخول في النسك. والسنة لمن أراد أن يحرم أن يتجرد من ثيابه ويغتسل كما يغتسل للجنابة، ويتطيب بأطيب ما يجد من مسك أو غيره، في رأسه ولحيته، ولا يضره بقاء ذلك بعد الإحرام، والاغتسال عند الإحرام سنة في حق الرجال والنساء، حتى النفساء والحائض لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أسماء بنت عميس حين نفست أن تغتسل عند إحرامها وتستثفر بثوب وتحرم. (رواه مسلم: ١٢٠٩).

ثم بعد الاغتسال والتطيب يلبس ثياب الإحرام، ثم يصلي غير الحائض والنفساء الفريضة إن كان في وقت فريضة، وإلا صلى ركعتين ينوي بهما سنة الوضوء، فإذا فرغ من الصلاة استقبل القبلة وأحرم. ثم إن كان متمتعاً قال: "لبيك اللهم بعمرة".

وإن كان قارناً قال: "لبيك اللهم بحجة وعمرة".

وإن كان مُفرداً قال: "لبيك اللهم حجاً".

ثم يقول: اللهم هذه حجة لا رياء فيها ولا سمعة.

ثم يلبي بما لبى النبي صلى الله عليه وسلم به وهو: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك"، وكان من تلبيته صلى الله عليه وسلم: "لبيك إله الحق" وكان ابن عمر يزيد في التلبية قوله: "لبيك وسعديك، والخير بيديك، والرغباء إليك والعمل". يرفع الرجل صوته بذلك، وأما المرأة فتقول بقدر ما يسمع من بجنبها، إلا أن يكون بجانبها رجل ليس من محارمها فإنها تلبي سرًا.

والتلبية مشروعة في العمرة من الإحرام إلى أن يبدأ في الطواف.

وفي الحج من الإحرام إلى أن يرمي جمرة العقبة يوم العيد

### الطواف حول الكعبة:

فإذا دخل المسجد الحرام قدم رجله اليمنى وقال: بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، ثم يتقدم إلى الحجر الأسود ليبتدئ الطواف فيستلم الحجر بيده اليمنى ويقبله، فإن لم يتيسر تقبيله استلمه بيده وقبّل يده (والاستلام هو مسح الحجر بيده) فإن لم يتيسر استلامه بيده فإنه يستقبل الحجر ويشير إليه بيده ويكبر، ولا يقبل يده.

فإذا بلغ الركن اليماني (وهو ثالث الأركان بعد الحجر الأسود) استلمه من غير تقبيل ولا

تكبير، فإن لم يتيسر له استلامه انصرف، ويقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) (رواه أبو داود وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود ١٦٦٦).

وكلما مر بالحجر الأسود استقبله وكبر، ويقول في بقية طوافه ما أحب من ذكر ودعاء وقراءة قرآن فإنما جعل الطواف بالبيت لإقامة ذكر الله تعالى.

### السعي بين الصفا والمروة:

ثم يخرج إلى المسعى فإذا دنا من الصفا قرأ: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) ويقول: (نبدأ بما بدأ الله به) ثم يرقى على الصفا حتى يرى الكعبة فيستقبلها ويرفع يديه فيحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو. وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم هنا: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله وحده أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده) (رواه مسلم: ١٢١٨).

يكرر ذلك ثلاث مرات ويدعو بين ذلك. فيقول هذا الذكر ثم يدعو، ثم يقوله الثانية ثم يدعو، ثم يقوله الثالثة وينزل إلى المروة ولا يدعو بعد الثالثة.

فإذا بلغ العلم الأخضر ركض ركضًا شديدًا بقدر ما يستطيع ولا يؤذي أحداً لما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سعى بين الصفا والمروة وهو يقول: (لا يُقطع الأبطح إلا شدًا) أي: إلا عَدْواً. رواه ابن ماجه وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٤١٩). والأبطح: المسافة بين العلمين الأخضرين الموجودين الآن.

فإذا بلغ العلم الأخضر الثاني مشى كعادته حتى يصل إلى المروة فيرقى عليها ويستقبل القبلة ويرفع يديه ويقول ما قاله على الصفا، ثم ينزل من المروة إلى الصفا فيمشي في موضع مشيه ويسعى في موضع سعيه، فإذا وصل الصفا فعل كما فعل أول مرة، وهكذا المروة حتى يُكَمِّل سبعة أشواط، ويقول في سعيه ما أحب من ذكر ودعاء وقراءة قرآن.

تنبيه:

المتمتع يسعى للعمرة، وأما المفرد والقارن فيسعيان للحج، ولهما أن يؤخرا السعي إلى ما بعد طواف الإفاضة.

### الحلق أو التقصير:

فإذا أتم المتمتع سعيه سبعة أشواط حلق رأسه إن كان رجلاً، أو قصر من شعره، ويجب أن يكون الحلق شاملا لجميع الرأس، وكذلك التقصير يعم به جميع جهات الرأس، والحلق أفضل من التقصير لأن النبي صلى الله عليه وسلم: " دعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة " (رواه مسلم ١٣٠٣).

وأما المرأة فإنها تُقصّر من شعرها بمقدار أنملة.

وبهذه الأعمال تمت العمرة للمتمتع، ويتحلل بعدها إحلالاً كاملاً، ويفعل كما يفعل المحلون من اللباس والطيب وإتيان زوجته وغير ذلك.

وأما المفرد والقارن فإنها لا يحلقان ولا يقصران ولا يتحللان من إحرامهما، بل يبقيان محرمان حتى يحلاً يوم العيد بعد رمي جمرة العقبة والحلق أو التقصير.

### يوم التروية:

ثم إذا كان يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة يحرم المتمتع بالحج ضُحَى من مكانه الذي هو فيه من مكة، ويُستحب أن يفعل عند إحرامه بالحج ما فعل عند إحرامه بالعمرة من الغسل والطيب والصلاة فينوي الإحرام بالحج ويلبي، فيقول: " لبيك اللهم حجًا".

ويُستحب له الجهر بالتلبية إلى أن يبتدئ برمي جمرة العقبة يوم العيد.

### الذهاب إلى منى:

ثم يخرج إلى منى فيصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر قصرًا من غير جمع؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم " كان يقصر بمنى ولا يجمع".

### الحج عرفة:

فإذا طلعت الشمس يوم عرفة سار من منى إلى عرفة فنزل بنمرة إلى وقت الظهر (ونمرة مكان قبل عرفة مباشرة) إن تيسر له وإلا فلا حرج لأن النزول بنمرة سنة وليس بواجب، فإذا زالت الشمس (أي دخل وقت صلاة الظهر) صلى الظهر والعصر ركعتين ركعتين يجمع بينهما جمع تقديم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ليطول وقت الوقوف والدعاء.

ثم يتفرغ بعد الصلاة للذكر والدعاء والتضرع إلى الله عز وجل ويدعو بما أحب رافعًا يديه

مستقبل القبلة ولو كان جبل عرفات خلفه؛ لأن السُّنة استقبال القبلة لا الجبل وقد وقف النبي صلى الله عليه وسلم عند الجبل وقال: "وقفت ههنا وعرفة كلها موقف".

وكان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الموقف العظيم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. فإن خير الدعاء دعاء يوم عرفة.

### الذهاب إلى مزدلفة

فإذا غربت الشمس سار إلى مزدلفة... فإذا وصلها صلى المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين.

ويبيت بمزدلفة فإذا تبين الفجر صلى الفجر مبكرًا بأذان وإقامة ثم قصد المشعر الحرام (وهو موضع المسجد الموجود بمزدلفة) فوحد الله وكبره ودعا بما أحب حتى يسفر جدا (والإسفار هو ظهور ضوء النهار قبل طلوع الشمس) وإن لم يتيسر له الذهاب إلى المشعر الحرام دعا في مكانه لقول النبي صلى الله عليه وسلم "وقفت ههنا وجمعٌ (أي مزدلفة) كلها موقف". ويكون حال الذكر والدعاء مستقبل القبلة رافعا يديه.

### الذهاب إلى منى:

فإذا أسفر جدًا سار قبل أن تطلع الشمس إلى منى ويسرع في وادي محسر (وهو وادٍ بين مزدلفة ومنى)؛ فإذا وصل إلى منى رمى جمرة العقبة وهي الأخيرة مما يلي مكة (فهي أقرب الجمرات إلى مكة) بسبع حصيات متعاقبات واحدة بعد الأخرى كل واحدة بقدر حبَّة الفول تقريبا يُكبر مع كل حصاة (والسنة عند رمي جمرة العقبة أن يستقبل الجمرة ويجعل مكة عن يساره، ومنى عن يمينه).

### ذبح الهدي:

فإذا فرغ من الرمي ذبح هديه ثم حلق رأسه أو قصَّر إن كان ذكرًا، وأما المرأة فتقصر من شعرها بمقدار أنملة (وبهذا يتحل المُحْرم التحلل الأول، فيحل له كل شيء إلا جماع زوجته).

### طواف الإفاضة:

ثم ينزل إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة ويسعى سعي الحج (ثم يتحلل التحلل الثاني فيحل له كل شيء حرم عليه بسبب الإحرام).

والسنة أن يتطيب إذا أراد النزول إلى مكة للطواف بعد الرمي والحلق لقول عائشة رضي الله عنها: "كنت أطيب النبي صلى الله عليه وسلم لإحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت" (رواه البخاري ١٥٣٩، ومسلم ١١٨٩).

### العودة إلى منى:

ثم بعد الطواف والسعي يرجع إلى منى فيبيت بها ليلتي اليوم الحادي عشر والثاني عشر ويرمي الجمرات الثلاث في اليومين إذا زالت الشمس، والأفضل أن يذهب للرمي ماشيا وإن ركب فلا بأس فيرمي الجمرة الأولى وهي أبعد الجمرات عن مكة، وهي التي تلي مسجد الخيف بسبع حصيات متعاقبات واحدة بعد الأخرى ويكبر بعد كل حصاة ثم يتقدم قليلاً ويدعو دعاء طويلاً بما أحب فإن شق عليه طول الوقوف والدعاء دعا بما يسهل عليه ولو قليلاً ليحصل السنة.

ثم يرمي الجمرة الوسطى بسبع حصيات متعاقبات يكبر مع كل حصاة ثم يأخذ ذات الشمال فيقف مستقبل القبلة رافعا يديه ويدعو دعاء طويلاً إن تيسر له وإلا وقف بقدر ما يتيسر ولا ينبغي أن يترك الوقوف للدعاء لأنه سنة وكثير من الناس يهمله إما جهلاً أو تهاونًا، وكلما أُضيعت السنة كان فعلها ونشرها بين الناس أوكد لئلا تترك وتموت.

ثم يرمي جمرة العقبة بسبع حصيات متعاقبات يكبر مع كل حصاة ثم ينصرف ولا يدعو بعدها.

فإذا أتم رمي الجمار في اليوم الثاني عشر فإن شاء تعجَّل وخرج من منى، وإن شاء تأخر فبات بها ليلة الثالث عشر ورمى الجمار الثلاث بعد الزوال كما سبق، والتأخر أفضل.

### طواف الوداع:

فإذا أراد الخروج من مكة إلى بلده لم يخرج حتى يطوف للوداع لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا ينفر أحدٌ حتى يكون آخر عهده بالبيت" (رواه مسلم ١٣٢٧).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
والحمد لله رب العالمين.

# واحة التوحيد

## من نور كتاب الله

### الحض على حسن العشرة بين الزوجين

قال الله تعالى: " وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " (الروم: ٢١).

## من سير السلف الصالح

عن يحيي بن أيوب، عن وكيع بن الجراح أنه كان لا ينام حتى يقرأ جزءه من كل ليلة من القرآن، ثم يقوم آخر الليل، فيقرأ المفصل ثم يجلس، فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر (سير أعلام النبلاء)

## من دلائل النبوة

### إخبار النبي صلى الله عليه وسلم ببعض من يموت شهيدًا من أصحابه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صَعِدَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى أُحُدٍ ومعهُ أبو بكرٍ، وعُمَرُ، وعُثْمانُ، فرَجَفَ بهِمْ، فضَرَبَهُ برجلِهِ، قال: اثْبُتْ أُحُدُ فما عليكَ إلا نَبِيٌّ، أوْ صِدِّيقٌ، أوْ شَهيدان. (صحيح البخاري ٣٦٨٦).

## حكم ومواعظ

عن وهب بن منبه، قال: "العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قيّمه، والصبر أمير جنوده، والرفق أبوه، واللين أخوه" (سير أعلام النبلاء).

## من حكمة الشعر

خرج أعرابي هاربًا من الطاعون؛ فبينا هو سائر إذ :لدغته أفعى فمات، فقال فيه أبوه

طاف يبغي نجوة ... من هلاك فهلك

كلُّ شيء قاتل ... حينَ تلقى أجلك

إعداد : علاء خضر

## أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"اختلاف أمتي رحمة"، ذكر العلماء أنه "موضوع"، ورد ذلك في "الأسرار المرفوعة" (٥٠٦)، "تنزيه الشريعة" (٤٠٢/٢). وقال الألباني: "لا أصل له" (السلسلة الضعيفة ١١).

## من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

### حُسْن خُلُقه مع زوجاته

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله تعالى عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ» (صحيح أبي داود ٤٦٨٢).

## من معاني الأحاديث

في حديث: "كتابُ الله حبلٌ ممدودٌ منَ السَّماء إلى الأرض": أي نور ممدود، يعني نور هداه. والعرب تشبه النور الممتد بالحبل والخيط. ومنه قوله تعالى: «حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود» يعني نور الصبح من ظلمة الليل. (النهاية لابن الأثير).

## من أقوال السلف

عن وهب قال: "طوبى لمن جالس أهل العلم والحلم، طوبى لمن اقتدى بأهل العلم والحلم والخشية، طوبى لمن وسعته السنة فلم يَعْدُها". (سير أعلام النبلاء).

## من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه: أنْ امرأةً أتتْ رسول اللهْ صلى الله عليه وسلم فكَلَمتْهُ في شيءٍ، فأمرها بأمْرٍ، فقالتْ: أرأيتَ يا رسولَ اللهْ، إنْ لمْ أجدْكَ؟ قالَ: إنْ لمْ تجديني، فأتي أبا بكرٍ. (صحيح البخاري ٧٣٦٠).

# نظرات شرعية حول سد النهضة

## ضوابط الانتفاع بمياه الأنهار

**إعداد د. متولي البراجيلي**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد:

(تنويه: أعتذر عن مقالة الشهر في سلسلة الحجاب لتكليف المجلة لي بكتابة هذا المقال).

١- قد يُثار سؤال: ما علاقة سد النهضة بالشرع؟ أقول: إن الإسلام دين يشمل جوانب الحياة المختلفة، ولا يعني ذلك أن الأدلة من القرآن والسنة تتناول كل مسألة من مسائل الحياة بخصوصها، فهذا غير متصوَّر، لكن هناك أدلة إجمالية ومقاصد شرعية وقواعد أصولية وفقهية كلية تندرج تحتها آلاف المسائل قديمها وحديثها.

٢- مسألة المياه والأنهار ليست من المسائل المعاصرة فقط، بل تكلم فيها الفقهاء الأقدمون، فالمياه عصب الحياة، والأنهار مازالت تجري من قديم الزمان، وعلى ضفافها قامت الحضارات المختلفة، فالناس يحتاجون إلى تنظيم أمر المياه والأنهار، وهي تندرج عند الفقهاء تحت ما يسمى (حق الارتفاق).

٣- حق الارتفاق: هو الحق المقرر على عقار لمنفعة عقار لشخص آخر أو لمنفعة شخص آخر تبعًا لملكية ذلك العقار (تعريف العقار: المال ينقسم إلى قسمين: عقار ومنقول، العقار هو ما له أصل وقرار مثل الأرض والديار والأنهار ونحو ذلك، أما المنقول فهو عكس ذلك، إذ هو يشمل كل ما يمكن نقله من مكان لآخر كالذهب والفضة والسلع المباعة،

وغيرها). (انظر الموسوعة الفقهية الكويتية ٣٩/٢٦٣-٢٦٤، الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبة الزحيلي ٤/٢٩٠٠).

٤- الأنهار وحق الارتفاق: حسب التعريف السابق: فالأنهار عقار غير منقول، وفيها أربعة حقوق: ١- حق الشرب ٢- حق الشفة ٣- حق المجرى ٤- حق المسيل.

١- حق الشرب: هو النصيب المستحق من الماء لسقيا الزرع والأشجار.

٢- حق الشفة: هو حق شرب الإنسان والدواب والاستعمال المنزلي، وسُمي بذلك لأن الشرب عادة يكون بالشفة (الفم).

٣- حق المجرى: هو حق صاحب الأرض البعيدة عن مجرى الماء في إجراء الماء من ملك جاره إلى أرضه لسقيها، وليس للجار أن يمنع مرور الماء لأرض جاره وإلا كان له إجراؤه جبرًا عنه دفعًا للضرر عنه.

٤- حق المسيل: هو صرف المياه غير الصالحة عن الأرض، وهو كحكم حق المجرى ليس لأحد منعه إلا إذا حدث ضرر بيّن (انظر الفقه الإسلامي وأدلته د. الزحيلي ٤/٢٩٠٠-٢٩٠١).

٥- نوعا حقوق الارتفاق: أ- الارتفاق في الأملاك العامة كالأنهار والطرق والجسور ونحوها مما لا يختص به أحد، فحق الارتفاق فيه ثابت للناس جميعًا. ب- الارتفاق في الأملاك الخاصة المملوكة لفرد، لا يثبت حق الارتفاق عليها إلا بإذن المالك (انظر موسوعة الفقه الإسلامي للتويجري ٣/٦٠٥).

وحق الارتفاق ثابت، وشرطه أن لا يؤدي استعماله إلى الإضرار بالغير، فإن أضر به قال الإمام أحمد فله منعه (انظر الجامع لعلوم الإمام أحمد ٩/٣٨١-٣٨٢).

٦- الأنهار العامة كالنيل والفرات ودجلة ونحوهم من الأنهار العظيمة، لكل واحد الانتفاع بالماء لنفسه ودوابه وأراضيه، بشرط عدم الإضرار بالغير. والأصل في ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المسلمون شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار" (صحيح أبي داود ٣٤٧٧).

وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أنه لا يمنع فضل الماء الجاري والنابع مطلقًا. (انظر: جامع العلوم والحكم ٣/٩٢٧).

وأما الماء فالمراد به هنا المياه المباحة النابعة في موضع لا يختص بأحد ولا صنع الآدميين في إنباعها وإجرائها كالفرات وجيحون والنيل وسائر أودية العالم والعيون في الجبال وسيول الأمطار فالناس فيه سواء. (انظر: طرح التثريب في شرح التقريب لأبى الفضل زين الدين العراقي ٦/١٨٤).

وعليه فإنه لا يجوز أن يُمنع ماء الأنهار عن المنتفعين به، فإن مياه الأنهار تتكون عن طريق الأمطار، وهذا بقدرة الله تعالى وليس لأحد دخل فيه، وفي الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه "قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا ضرر ولا ضرار" (صحيح ابن ماجه وغيره).

وهذا الحديث أصل عظيم وقاعدة شرعية وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، فلا يجوز لأحد أن يُدخل الضَّر على نفسه أو يضر بالآخرين، وقد أخذ من هذا الحديث القاعدة الفقهية الكبرى: الضرر يُزال. ومعناها أنه تجب إزالته؛ لأن الاخبار في كلام الفقهاء للوجوب (انظر شرح القواعد الفقهية لأحمد بن الشيخ محمد الزرقا ص١٧٩).

٧- أنواع حقوق الارتفاق في الأنهار العامة:

١- حق الشرب، ٢- حق الشفة. فالناس سواء في هذه الحقوق، فلا يستأثر أحد بحق من هذه الحقوق ويمنعه عن الآخرين، فهي ليست مملوكة لأحد، وانما هي للجماعة (سائر من تمر عليه وينتفع بها)، ويلحق بالأنهار البحار والمحيطات، فحكمها: لا ملك لأحد فيها لا في الماء ولا في المجرى، إلا من أحرز شيئًا منها بإناء، فهو (ماء النهر)

حقّ لجماعة المسلمين بلا خلاف، بل لكل الناس الذين يمر عليهم النهر أن يشربوا منه ويتوضؤوا وغير ذلك، ويسقوا أراضيهم ودوابهم وغير ذلك. (انظر الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي ٤/٢٩٠٠-٢٩٠١، وانظر في ذلك بتوسع: حقوق الارتفاق المتعلقة بالمياه في الشريعة الإسلامية دراسة فقهية مقارنة د. جابر إسماعيل الحجاحجة، وابراهيم أحمد أبو العدس، بحث منشور على موقع دار الإفتاء الأردنية).

قلت: وكذلك يثبت فيها حق المجرى، وهو حقّ لصاحب الأرض البعيدة عن الماء ومجراه، فليس لمن يمر به الماء أولاً أن يمنع مرور الماء لأرض جاره البعيدة، وإلا كان له إجراؤه جبرًا عنه، دفعًا للضرر عنه. وكذلك حق المسيل إن احتيج إليه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "أسفل النهر آمر على أهل أعلاه حتى يرووا".

قال السرخسي: وفيه دليل أنه ليس لأهل الأعلى أن يُسكّروا (يسدوا أو يغلقوا) النهر ويحبسوا الماء عن أهل الأسفل؛ لأن حقهم جميعًا ثابت، فلا يكون لبعضهم أن يمنع حق الباقين ويختص بذلك. وفيه دليل على أنه إذا كان الماء في النهر حيث لا يجري في أرض كل واحد منهم إلا بالسكر، فإنه يبدأ بأهل الأسفل حتى يرووا، ثم بعد ذلك لأهل الأعلى أن يسكروا ليرتفع الماء إلى أراضيهم، وهذا لأن في السكر إحداث شيء في وسط النهر المشترك، ولا يجوز ذلك في حق جميع الشركاء، وحق أهل الأسفل ثابت ما لم يرووا، فكان لهم أن يمنعوا أهل الأعلى من السكر، ولهذا سماهم آمرًا؛ لأن لهم أن يمنعوا أهل الأعلى من السكر، وعليهم طاعتهم في ذلك.. ثم قال والأنهار العظام كجيحون وسيحون وفرات ودجلة والنيل، فإن الانتفاع بها بمنزلة الانتفاع بالشمس والهواء، ويستوى في ذلك المسلمون وغيرهم، وليس لأحد أن يمنع أحدًا من ذلك.. ومرادهم من لفظة الشركة بين الناس بيان أصل الإباحة والمساواة بين الناس في الانتفاع، لا أنه مملوك لهم فالماء في هذه الأودية ليس بملك لأحد (انظر المبسوط للسرخسي ٢٣/١٦٣-١٦٥).

بل إن حق الشفة لا يجوز منعه من سائر المياه، فليس لأحد منع الناس من حق الشفة، حتى لو كان ذلك من مياه العيون والآبار والحياض المملوكة لشخص، فهذا يثبت فيه حق الشفة دون حق الشرب، فإن أبى صاحب الماء ومنع الناس عن الاستقاء لأنفسهم ودوابهم، كان لهم قتاله حتى ينالوا حاجتهم، إذا لم يجدوا ماءً قريبًا آخر (انظر الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي ٦/٤٥٥٧).

قال السخاوي عن السكر (الإغلاق).. فليس لبعض الشركاء أن يُحْدث فيها شيئًا بدون إذن الشركاء.. (انظر المبسوط ٢٣/١٧٤).

**٨- القاعدة الفقهية: القديم يُتْرك على قدمه:**

وذلك في حال التنازع بين الشركاء؛ ومعنى هذه القاعدة أن المتنازع فيه إذا كان قديمًا تُراعى فيه حالته التي هو عليها من القديم، بلا زيادة ولا نقص ولا تغيير ولا تحويل. وكذا لو تنازع أهل النهر في أنصبة المياه (عن طريق الكوى - الفتحات-)، وأرادوا أن يُغيّروا، فليس لهم ذلك؛ لأن الأصل في جنس هذا أن ما كان قديمًا يُترك على حاله ولا يُغير إلا بحُجة (انظر شرح القواعد الفقهية أحمد الزرقا صـ٩٥-٩٦).

وهذه القاعدة قريبة من قاعدة: الأصل بقاء ما كان على ما كان. والأخذ بهذه القواعد يفيد في استقرار الأمور وثبوتها حتى يثبت ما يُغيرها ويزيلها (انظر القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة د. مصطفى الزحيلي ١/١٣٥).

قال السرخسي:.... الأصل أن ما وُجد قديمًا يُترك على حاله ولا يُغير إلا بحجة. وقال:... الماء في هذه الأنهار (العظيمة) على أصل الإباحة، ليس لأحد فيه حق على الخصوص..... فالانتفاع به كالانتفاع بالشمس، ولكل قوم شرب

أرضهم ونخلهم وشجرهم، لا يُحْبَس عن أحد دون أحد، وإن أراد رجل أن يكري منه نهرًا في أرض، فإن كان ذلك يضر بالنهر الأعظم لم يكن له ذلك، وإن كان لا يَضُر به فله ذلك (انظر المبسوط ٢٣/١٧٤-١٨٢، الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي ٤/٦٦٦٥).

قال في فتح القدير:... ويُمْنَع من أن يُوسِّع فم النهر؛ لأنه يكسر ضفة النهر ويزيد على مقدار حقه في أخذ الماء. ثم قال:.... القديم يُترك على قدمه لظهور الحق فيه (انظر أصول الفقه والقواعد الفقهية للكمال بن همام ١٠/٨٦ وبعدها).

٩- لا يجوز بناء قنطرة أو سد أو غير ذلك إلا بالتراضي بين الشركاء؛ بناءً على قاعدة "لا ضرر ولا ضرار"، وقاعدة "الضرر يزال". وقد سئل ابن عابدين في نهر مشترك بين جماعة لهم فيه حق الشرب من قديم الزمان يسقي أراضيهم بحسب نصيبهم منه، أراد أحد الشركاء أن يسوق نصيبه من النهر المرقوم بلا رضاهم إلى أرض له أخرى ليس لها من النهر حق شرب، فهل ليس له ذلك إلا برضا بقية الشركاء؟ فأجاب: نعم (انظر العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية ٢/٢٢١).

١٠- هل يملك الماء من ظهرت في أرضه؟

يقول ابن قدامة: "وأما المعادن الجارية كالقار والنفط والماء، فهل يملكها من ظهرت في ملكه؟ فيه روايتان أظهرهما لا يملكها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الناس شركاء في ثلاث: في الماء والكلأ والنار"، ولأنها ليست من أجزاء الأرض فلم يملكها بملك الأرض (انظر المغني ٥/٤٢٣).

إن مقتضى العدل شرعًا وعقلاً وعرفًا أن لا يَتم تغيير ما تعارف عليه الناس وتدور عليه حياتهم، إلا برضا جميع الأطراف. فليس لأحد شركاء النهر أن يشق جدولاً من النهر أو يحجر الماء بسد أو يوسّع النهر عنده، إلا بالتراضي بين جميع الشركاء.

خلاصة البحث:

١- الشرع يشمل جميع جوانب الحياة.

٢- المياه والأنهار تكلم فيها الفقهاء القدامى تحت ما يُسمى بحق الارتفاق.

٣- المياه فيها أربعة حقوق: حق الشرب، حق الشفة، حق المجرى، حق المسيل.

٤- حق الارتفاق في الأنهار العظيمة ثابت لكل من يمر به النهر.

٥- الأنهار العظيمة ليست حكرًا على أحد، فلا يستأثر أحد بها ويمنعها عن الآخرين، فهي كالشمس والهواء، ويستوي في ذلك المسلمون وغيرهم، والأصل في ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلمون شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار" (صحيح أبي داود ٣٤٧٧)، ولقاعدة: "الضرر يُزال"، ولقاعدة "القديم يُتْرَك على قدمه".

٦- وجوب مراعاة العدالة بين سائر المنتفعين من النهر.

والحمد لله رب العالمين.

## عزاء واجب

تُوفِّيَ إلى رحمة الله الشيخ /مجدي قاسم، نائب رئيس فرع بلقاس، وتتقدم أسرة تحرير المجلة بخالص العزاء لأسرة الشيخ، ونسأل الله أن يغفر له وأن يرحمه رحمة واسعة، وأن يدخله فسيح جناته، وأن يرزق أهله الصبر والسلوان.

لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى.

# فلسطين ترفعُ الرُّؤوس في حرْبِ البَسُوس

إعداد د. عماد محمد علي عيسى

المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

## حربُ البَسُوس:

فحرب البَسُوس: هي الحَرْبُ المَشْهُورَةُ بَيْنَ بَكْرٍ وتَغْلب، وسبب اشتعالها نَاقَة رَمَاهَا كُلَيب بْنُ وَائِل فقتلها. (النهاية لابن الأثير: ١/١٢٧). وإنَّما اخترت تسمية هذه الحرب بلفظ "البَسُوس" لأنه من "البَسِّ": وهو الدَّسُّ، وهذا هو عمل اليهود منذ خلقوا لأنهم يدسُّون الفتن، ويبعثون رُفاتها كل حين، ومن ذلك أيضا "البَسْبَسَة": وهي السَّعَاية بين النَّاس للإفساد بينهم، وقد وصف الله اليهود فقال: «كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ» (المائدة: ٦٤).

## فلسطين أرض البُطولة والفداء:

إنَّ فلسطين-حرسها الله- غُرَّة جَبيننا وشامَةُ زماننا - وهي من أرض الفداء والبُطولة- التي فيها مسْرَى نبيِّنا الأمين، والمَسْجد الأقصى الذي نسأل الله أن يرفع عنه الأنين، وأن يُقرَّ أعيُننا بنصره المؤزر وفتحه المبين، ورفع راية عزه المكين.

وقد خاضت جارتنا الحبيبة، هذه الحرب الأخيرة مع اليهود مُكرهة لا مُختارة، إذ إنَ العدوَ قد بدأ بالعُدوان كعادته فاعتدى في القُدس على المصلين، وهدم بيوت الآمنين، وأخرجوهم من بيوتهم مُجرَدين من كل يملكون ومشرَدين، وكان من آخر هذه الجراح إخراج المسالمين من حيَ الشيخ جرَاح، فكان لا بُدَ من هبَة لإخوانا المستضعفين في فلسطين. وقد صار نصرهم حديثا للسمَار، مقالا جاريًا بين نقلة الأخبار، حتى تُهودي ذكره في الأقطار، وبلغ أمره ما بلغ الليل والنهار، ومع أنهم عُزل من السلاح إلا أنهم كانوا حُماة صدق، وكماة -شجعان- حق، ولو كره المجرمون.

### طلع السبعُ منْ غابه كاشرا عن أنيابه:

بطرف قد ملئ صلفا، وأنف قد حُشي أنفا خرج يهودُ الغدر على المصلين المسالمين في المسجد الأقصى يدعُونهم عنه دعًا، ويطردُونهم منه طردًا، ظانين أنَ الأمر سيمُرُ مرور الكرام، فانعكس عمل اليهود عليهم حتى صار ظلمهم عناءً، وبغيهم وباءً، ثم لما أرادوا هدم غزَة وإحراق بيوتها بمدافعهم خرجتْ أسودُ غزَة من غابها، منتفخة في إهابها، كاشرة عن أنيابها، فألبسوا اليهود لباس الخوف، وكسوهم كساء الرُعب، وشعرت يهودُ أن الخطب مُلمَ، وأنَ الحادث مُهمَ، حتى رجعوا خاسئين، وعاد أمرهم هباءً، وحربهم المسلمين عليهم بلاءً، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

### الاستعانة بالله مفتاح النَصر:

قال تعالى: « قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » (الأعراف: ١٢٨).

لقد رأينا هؤلاء الأبطال وهم يقدمون التضحيات ويدفعون الثمن أرواحا من الشهداء حتى بلغوا مأربهم النفيس، وأرغموا أنوف عدوهم البئيس، وكانوا خير الفرسان، وأفضل الراكضين في الميدان، وأجبروا العالم كله على الاحترام لهم والإذعان، بما تحملوا من المشقة والنصب، وحققوا جهاد الدفع، فلم يُؤثروا البطالة والدعة، ولم يستلذوا الراحة والسَعة، بل تعلقوا بالله رجالاً ونساءً، كبارًا وصغارًا حتى رأينا الشيوخ والشباب والنساء والأطفال يقرؤون القرآن زمان القصف، ويذكرون الله ويكبرونه ويحمدونه أوان العصف، لأنَ القوم احتسبُوا أنفسهم لله، وباعُوها رخيصة من أجل المسجد الأقصى. فجزاهم الله عن الإسلام وأهله خيرًا، ومن عرف للإسلام حقه، وحفظ للدين حظه، وعظم حرمته، وأعلى حُجته، عظم هؤلاء المرابطين، ورفع شأن أولئك المجاهدين، وأظهر حُجتهم، وأبان فضيلتهم.

### صمود غزَة في حلوق اليهود غصَة:

إنَ الأمورَ كلها بيد الله كما قال الله تعالى: « قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ » (آل عمران: ١٥٤)؛ فلا يُستنجز الخيرُ إلا منه، ولا يُستدفع الشرُ إلا به، ولقد وفق الله وأعان وسدد خطا المرابطين ممن تعلق به واستعان، ودفع الله البأس عنهم لما صارُوا كمرصُوص البُنيان، ودحر جيش الباطل لما وكلوا أمر عدوهم إليه، وعرف صدقهم وتوكلهم عليه، ولقد ضربُوا مثلا شرودًا في الثبات، وحققوا نوعًا فريدًا من الفدائية، وحازوا منقبة بكرًا في الصُمود، فلم يهنوا ولم يضعفوا ولم يستكينوا، وتحقق فيهم قوله سبحانه: « وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ » (آل عمران: ١٤٦-١٤٧).

وروى البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمرُ الله وهم ظاهرون". ومن لاحظ همم وشجاعة القوم، وقرأ جهادهم: استزرى ما هو فيه واحتقره، ولم يبال به بالة. فقد كان أهل غزة كأنهم نجوم الليل، أو أحلاس ظهور الخيل، يفرُون أسنمة النجاد، بتلك الجياد، وكأنهم ربطوا الأفراس بالأمراس (أي: الجبال)، ولم يميلوا مع من مال إلى الدعة والنعاس.

### جزى الله أهل فلسطين عن الأقصى وفلسطين خيرا:

أهل فلسطين في رباط إلى أن تقوم الساعة،

وهم يواجهون عدوًا لئيمًا، شرس الخلق، صعب الشكيمة، مدجّجا بالسلاح، كامل العدة والعتاد، غير أن الله قد وهب المقادسة صفات يغلبون بها اليهود، ويرهبون بها عدوّ الله وعدوهم.

### حدث عن البحر ولا حرج:

ليس الخبر كالخبر، وفي الحديث: "ليس الخبر كالمعاينة" لقد رأينا أهل مصر يجودون بالمال والمؤن والدواء والغذاء تطوعًا وتبرعًا لإخوانهم المستضعفين، وهو واجبٌ من واجبات الأخوة في الاسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠)، بل إنّ قلوب أهل مصر طارت لغزة اشتياقا، وذابت أنفسهم خوفا عليها واحتراقا، حتى علا الضجيج، واشتد الشهيق والنشيج، وغلب على بعض المسلمين النواح والصياح، خشية كثرة القتل في المسلمين وفشو الجراح، ولا عجب فمصر مرآة فلسطين، وفي الحديث عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه». (رواه أبو داود: ٤٩١٨).

### ستبقى مصر شامخة رائدة قائدة وإن رغمت أنوف:

إنَ من الانصاف أن نباهي بموقف مصر، ونفخر بوقفتها مع أبناء غزة العصية على الهزيمة، ونعتز بقيامها المقام المحمود مع أهل فلسطين في هذه الحرب الأخيرة، غير أن من الناس من يعمل على تقزيم شأن مصر، وتقليل قيمتها، والغاء دورها في حماية الأمة من أعدائها، وهذا نأيٌ عن الصواب، وردٌ للحق، وبعدٌ عن الجادة، وانكارٌ لنور الشمس في ضحاها، وقد أظهر وقوف مصر بجانب غزة الأبية تناقضا وفسادا لدى الجاحدين لدور مصر المحروسة في التمسك بالمسجد الأقصى القبلة الأولى للمسلمين، ونصرة أهلنا في فلسطين ميدان الجهاد والعزة. غير أن اعتراف أهل غزة بدور مصر حسم مادة الخلاف، وقطع شغب الشاغبين، وقمع تشكيك المشككين.

### دعوات المسلمين قذفت في قلوب اليهود الرعب:

الدعاء سلاح ماض في النصر على الأعداء، به تفتح أبواب النصر وينزل الله بأسه بالمعتدين، واذا ضمرت المزاد ونفد الزاد أو كاد يدركه النفاد، كان الدعاء مخرجا تنجلي به الأحزان، ويرتدع أهل العدوان، فشد عليه شد الضنين، وأمسك به إمساك البخيل. ومن فضل الله على أهلنا في فلسطين أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يجتهدون في الدعاء بالنصر على اليهود، وكان من سالف تقدير الله تعالى أن تدور رحى هذه الحرب على غزة في العشر الأواخر من رمضان، وهي من أفضل أيام وليالي الدنيا بإطلاق، تكون فيها النفوس طاهرة، والقلوب نقية، والصلة بالله قوية، والبصيرة صافية، فكم عاجز أو كسول نشط، وكم بخيل جاد، وغليظ الطبع لان، وكم متصرف عن الدعاء مشغول عنه أقبل وتضرع، فدعوات المسلمين لا سيما الضعفاء الذين لا يملكون سوى الدعاء كالسيف البتار، والحسام المهند.

قال الإمام البخاري: بابُ من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب.

وقال ابن عباس: أخبرني أبو سفيان، "قال لي قيصر سألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فزعمت ضعفاءهم وهم أتباع الرسل".

عن مصعب بن سعد، قال: رأى سعد رضي الله عنه، أن له فضلا على من دونه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم» (رواه البخاري: ٢٨٩٦).

وبدعوات المسلمين، مع عمل المرابطين، جاءت بشائر النصر تلوح في الأفق بعد ما كانت تحجبها غيابات الضعف والانهزام، وهبت نسمات النصر وصال الحق صولته، وجال جولته، وانقشعت سحائب الهزائم، وأقبلت لوائح الانتصار والعزائم، وبعدما ظنّ الناس أنه قد أفلت الزمام، وضاع الخطام، رفع المسلمون رايات النصر، وتقدموا بعد القهقرى أشواطا إلى الأمام، وربّما دار الفلك دورته فوصل المسلمون من أسباب مجدهم وعزهم ما انقطع.

أتهزأ بالدعاء وتزدريه
وما تدري بما فعل الدعاءُ
سهام الليل لا تخطئ ولكنْ
لها أمدٌ وللأمد انقضاء

والحمد لله رب العالمين.

# صلاة المسافر

**الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.**

**أما بعد، فنبدأ في هذا اللقاء الحديث عن صلاة المسافر وما يتعلق بها من أحكام ونتكلم عنها في مسائل ونعرض لهذه المسائل تباعًا.**

إعداد **د. حمدي طه**

من قواعد الشريعة: "المشقة تجلب التيسير". ولما كان السفر قطعة من العذاب؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه، ونومه، فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله» (رواه البخاري)؛ رتب الشارع على السفر ما رتب من الرخص، حتى ولو فرض خلوه عن المشاق؛ لأن الأحكام تعلق بعللها العامة، وإن تخلفت في بعض الصور والأفراد.

ويختص السفر بأحكام تتعلق به، وتتغير بوجوده، ومن أهمها: قصر الصلاة الرباعية، وليس للقصر من الأسباب غير السفر؛ ولهذا أضيف السفر إلى القصر لاختصاصه به، الجمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء في وقت إحداهما، والجمع أوسع من القصر، ولهذا كان له أسباب أخر غير السفر: كالمرض، والاستحاضة، والمطر، والوحل، والريح الشديدة الباردة، ونحوها من الحاجات، وصلاة النافلة على الراحلة أو وسيلة النقل إلى جهة سيره، ترك الرواتب في السفر عدا راتبة الفجر وصلاة الوتر، ولا يكره له ذلك، مع أنه يكره تركها في الحضر، وإباحة الفطر للصائم، وامتداد مدة المسح على الخفين إلى ثلاثة أيام، وحرمة السفر على الحرة بغير محرم، وولاية الأبعد.

ويقتصر هذا البحث على ما يتصل بالسفر من حيث قصر الصلاة والجمع والموالاة بين الصلاتين المجموعتين.

## أولا: مفهوم السفر:

السفر لغة قطع المسافة البعيدة. يقال ذلك إذا خرج للارتحال. السين والفاء والراء أصل واحد يدل على الانكشاف والجلاء، والجمع أسفار، وأصل المادة الكشف، والسفر والمسافرون بمعنىً. وسُمي المسافر مسافرًا؛ لكشفه قناع الكنّ عن وجهه، وسُمي السفر سفرًا لأنه يُسفر عن وجوه المسافرين وأخلاقهم، فيظهر ما كان خافيًا منها.

(انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٨٢، لسان العرب لابن منظور ٤/٣٦٨، وتاج العروس٢/٣٤٢).

وفي الاصطلاح: السفر هو الخروج على قصد قطع مسافة القصر الشرعية فما فوقها. الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٥/٢٦.

### ثانيا: أنواع السفر:

١- سفرٌ حرام، وهو أن يسافر لفعل ما حرمه الله أو حرمه رسوله صلى الله عليه وسلم، مثل: من يسافر للتجارة في الخمر، والمحرمات، وقطع الطريق، أو سفر المرأة بدون محرم.

٢- سفر واجب، مثل: السفر لأداء فريضة الحج، أو الجهاد الواجب في سبيل الله.

٣- سفر مستحب، مثل: السفر للعمرة، أو السفر لحج التطوع، أو السفر لزيارة الإخوان، وعيادة المرضى، وزيارة أحد المساجد الثلاثة: المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى، وزيارة الوالدين أو أحدهما.

٤- سفر مباح، مثل: السفر للتجارة والدراسة والنزهة المباحة، وكل أمر مباح.

٥- سفر مكروه، مثل: سفر الإنسان وحده بدون رفقة إلا في أمر لا بد منه؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده» (رواه البخاري).

فهذه أنواع السفر التي ذكرها أهل العلم، فيجب على كل مسلم أن لا يسافر إلى سفر محرم، وينبغي له أن لا يتعمد السفر المكروه، بل يقتصر في جميع أسفاره على السفر الواجب، والمستحب، والمباح.

### مسألة: ما نوع السفر الذي تختص به رخص السفر؟

اختلف العلماء في نوع السفر الذي تختص به رخص السفر: من القصر، والجمع، والفطر، والمسح على الخفين ثلاثة أيام، والصلاة على الراحلة تطوعًا على أقوال:

القول الأول: اشترط جمهور الفقهاء- المالكية على الراجح والشافعية والحنابلة- في السفر الذي تتغير به الأحكام ألا يكون المسافر عاصيًا بسفره. والمراد بالمسافر العاصي بسفره أو سفر المعصية أن يكون الحامل على السفر نفس المعصية كما في الأمثلة السابقة. قال الإمام النووي: "مذهبنا- أي الشافعية- جواز القصر في كل سفر ليس معصية سواء الواجب والطاعة والمباح كسفر التجارة ونحوها ولا يجوز في سفر معصية وبهذا قال مالك وأحمد وجماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم" (المجموع شرح المهذب ٤/٣٤٦).

ومثله ما إذا انتقل من سفره المباح إلى سفر المعصية بأن أنشأ سفرا مباحا ثم قصد سفرا محرما. ومستندهم في هذا قول الله تعالى: «فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه» أباح الأكل لمن لم يكن عاديا ولا باغيا فلا يباح لباغ ولا عاد قال ابن عباس: غير باغ على المسلمين مفارق لجماعتهم يخيف السبيل ولا عاد عليهم (المغني لابن قدامة ٢/١٠٠).

وأجيب عن الاستدلال بالآية: بأن الضرورة لا تختص بسفر، ولو كانت في سفر فليس السفر المحرم مختصًا بقطع الطريق والخروج على الإمام ولم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إمام يُخرج عليه، ولا من شرط الخارج أن يكون مسافرًا، وأيضا أكثر المفسرين قالوا المراد بالباغي الذي يبغي المحرم من الطعام مع قدرته على الحلال والعادي الذي يتعدى القدر الذي يحتاج إليه وهذا التفسير هو الصواب دون الأول، وأيضا فقوله (غير باغ) حال من اضطر فيجب أن يكون حال اضطراره وأكله الذي يأكل فيه غير باغ ولا عاد فإنه قال فلا إثم عليه ومعلوم أن الإثم إنما يُنفى عن الأكل الذي هو الفعل لا عن نفس الحاجة إليه. (انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٤/١١٢).

واستدلوا بالقاعدة الفقهية: (الرخص لا تُناط بالمعاصي) قال الإمام السيوطي: "ومن ثم لا يستبيح العاصي بسفره شيئا من رخص السفر: من القصر والجمع والفطر والمسح ثلاثا، والتنفل على الراحلة، وترك الجمعة..... (الأشباه والنظائر ١/٢٤٥).

إذ مشروعية الترخص في السفر للإعانة؛ إذ إن الرخصة تسهيل وتيسير على المكلف، والمسافر سفرًا محرمًا لا يعان فهو لا يستحق أن يسهل عليه ويرخص له؛ لأن الرخص لا تناط بالمعاصي، ولأن الترخص شرع للإعانة على تحصيل المقصد المباح توصلاً إلى المصلحة فلو شرع ها هنا لشرع إعانة على المحرم تحصيلاً للمفسدة والشرع منزه عن هذا والنصوص وردت في حق الصحابة وكانت أسفارهم مباحة فلا يثبت الحكم في من سفره مخالف لسفرهم ويتعين حمله على ذلك جمعا بين النصين وقياس المعصية على الطاعة بعيد لتضادهما (المغني لابن قدامة ٢/١٠٠).

وأما قولهم : إن هذا إعانة على المعصية فغلط؛ لأن المسافر مأمور بأن يصلي ركعتين كما هو مأمور أن يصلي بالتيمم، واذا عدم الماء في السفر المحرم كان عليه أن يتيمم ويصلي وما زاد على الركعتين ليست طاعة ولا مأمورًا بها أحد من المسافرين؛ واذا فعلها المسافر كان قد فعل منهيًا عنه (انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٤/١١٢).

وقد ألحق الحنابلة بسفر المعصية السفر المكروه فلا يترخص المسافر عندهم إذا كان مسافرا لفعل مكروه (الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي ٤/٦١). وفي مذهب المالكية خلاف في الترخص في السفر المكروه فقيل بالمنع وقيل بالجواز. فالمكروه كصيد اللهو فظاهره أن الأصح تحريم القصر، والصواب عندي أنه يستحب له أن لا يقصر، فإن قصر فلا شيء عليه وعليه تحمل المدونة، ولا يبعد أن يكون هو مراد ابن الحاجب قال ابن شعبان: إن قصر لم يعد للاختلاف فيه. (مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل للحطاب ٢/٤٨٨).

القول الثاني: مذهب أبي حنيفة وشيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة كثيرة من العلماء كالثوري والأوزاعي، ذهبوا إلى أنه يجوز القصر حتى في السفر المحرم. قال الإمام السمرقندي من الحنفية: ثم الرخصة، وهي قصر الصلاة وغيره، تثبت بمطلق السفر، سواء كان سفر طاعة كالجهاد والحج أو سفر مباح كالخروج إلى التجارة، أو سفر معصية كالخروج لقطع الطريق ونحوه وهذا عندنا. (تحفة الفقهاء١/١٤٩).

ومن أدلتهم: عموم الأدلة التي ورد فيها الرخص للمسافر ومنها:

١- قال ابن تيمية رحمه الله: (والحجة مع من جعل القصر والفطر مشروعا في جنسِ السفر ولم يخص سفراً من سفر وهذا القول هو الصحيح، فإن الكتاب والسنة قد أطلقا السفر، قال تعالى: «فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» (البقرة:١٨٤)، كما قال تعالى في آية التيمم: «وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ» (النساء:٤٣). (مجموع الفتاوى ٢٤/١٠٩). وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله وضع عن المسافر الصوم، وشطر الصلاة". وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله وضع عن المسافر الصوم، وشطر الصلاة".

٢- إن صلاته الركعتين في السفر ليست تحويلاً من الأربع، بل هي من الأصل ركعتان والرخصة هو التحويل من الأثقل إلى الأخف وأما صلاة المسافر فهي مفروضة من أول الأمر، ودليلهم ما ورد في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: "أول ما فرضت الصلاة ركعتين ثم سافر النبي صلى الله عليه وسلم؛ فزيد في صلاة الحضر وأقرت صلاة السفر ركعتين".

قال الشوكاني: "سواء "أي السفر"، كان طاعة أو معصية فهو صواب وأن الأدلة الآنفة الذكر لم تفرق بين سفر وسفر، ومن ادعى فعليه الدليل" (السيل الجرار ١/٢٠٨).

وقيل: لا يُقصر إلا في الحج والعمرة والجهاد؛ لأن الواجب لا يترك إلا لواجب، أما السفر المباح والمحرم والمكروه فلا. وقيل: لا يقصر إلا في سفر الطاعة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قصر في سفر واجب أو مندوب.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

# العِبَر وديوان المُبتدأ والخبر

تاريخ ابن خلدون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فيُعَدُ العبر وديوان المبتدأ والخبر كتابًا نفيسًا جمع فيه صاحبه علمَ من سبقوه مثل: ابن إسحق، والواقدي، وابن سعد، والطبري، وغيرهم فأنشأ ابن خلدون هذا الكتاب فهذب مناحيه، وقربه للأفهام، وذكر من أتى منذ مبدأ الخليقة إلى عهده، وضمّنه بعضًا من العلوم والحكم، فاحتوى فوائد متعددة ومعارف متنوعة، لم يعتمد فيها على مجرد النقل، بل حكم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، وابتكر ابن خلدون وصاغ فلسفة للتاريخ هي بدون شك أعظم ما توصل إليه الفكر البشري في مختلف العصور والأمم.

إعداد **محمد محمود فتحي**

## منهج الكتاب

كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. للعَلامة عبد الرحمن بن خلدون يُعَدُ موسوعة تاريخية؛ مجموع في سبع مجلدات. وطبع بعنوان تاريخ ابن خلدون.

يتصدر كتاب العبر كتاب المقدمة. ولم يخرج ابن خلدون في العبر عن الكتابة التقليدية للتاريخ، واحتوت مقدمة الكتاب على عدة آراء وأفكار جعلت الباحثين يعتبرون الرجل مؤسسًا لعلم الاجتماع. واعتبِرت لاحقًا مؤلفًا منفصلًا ذا طابع موسوعي إذ يتناول فيه جميع ميادين المعرفة من الشريعة والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والعمران والاجتماع والسياسة والطب. وقد تناول فيه أحوال البشر واختلافات طبائعهم والبيئة وأثرها في الإنسان. كما تناول بالدراسة تطور الأمم والشعوب ونشوء الدولة وأسباب انهيارها مُرَكِزًا في تفسير ذلك على مفهوم العصبية. وفي عام ١٩٧٨ انعقد أول مؤتمر دولي بمناسبة مرور ٦٠٠ عام على تأليف المقدمة (محمد الفوزان، ابن خلدون وفكره التربوي).

## عبد الرحمن بن خلدون

ابن خَلدون هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)، ولد في تونس وشبَ وترعرع فيها وتخرَج من جامعة الزيتونة، وليَ الكتابة والوساطة بين الملوك في بلاد المغرب والأندلس

ثم انتقل إلى مصر حيث قلده السلطان برقوق قضاء المالكية. ثم استقال من منصبه وانقطع إلى التدريس والتصنيف فكانت مصنفاته من مصادر الفكر العالمي، ومن أشهرها كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

وابن خلدون مؤرخ من شمال أفريقيا، تونسي المولد أندلسي حضرمي الأصل. عاش بعد تخرجه من جامعة الزيتونة في مختلف مدن شمال أفريقيا، حيث رحل إلى بسكرة وغرناطة وبجاية وتلمسان وفاس، كما توجّه إلى مصر، حيث أكرمه سلطانها الظاهر برقوق، وولي فيها قضاء المالكية، وظلّ بها ما يناهز ربع قرن، ثم اعتزل ابن خلدون الناس وتفرغ سنوات في البحث والتنقيب في العلوم الإنسانية، ليكتب سفره أو ما عرف بمقدمة ابن خلدون مؤسساً لعلم الاجتماع بناءَ على الاستنتاج والتحليل في التاريخ وحياة الإنسان.

تُوُفِّيَ ابن خلدون عام (٨٠٨ هـ / ١٤٠٦م) عن عمر بلغ ستة وسبعين عامًا ودُفِنَ قرب باب النصر بشمال القاهرة (عبد الرحمن الحضرمي، رحلة ابن خلدون).

## محتويات الكتاب

يتكون من سبعة أجزاء والجزء الثامن للفهارس، وهو عبارة عن محاولة إسلامية لفهم التاريخ العالمي ويعتبر من أوائل الكتب التي تهتم بعلم الاجتماع، وقد ترجم كتابه إلى العديد من اللغات الحية، وعليه ترتكز مكانة ابن خلدون وشهرته. ولئن كان مسعى ابن خلدون من المقدمة، وهي الجزء الأول من "كتاب العبر"، هو أن يضع نفسه في فئة المؤرخين وأن يقفو أثر المسعودي، إلا أنّه يصعب على المراجع أن يصنّفه ضمن المؤرخين، كونه أخذ في مقدمته من كلّ علم بطرف، فتحدّث عن كلّ ما يخصّ الإنسان من معنويات وماديات، داعماً ما ذهب إليه من آراء بشواهد من القرآن الكريم وديوان العرب الشعري. ونظراً لمكانتها العلمية، فقد حظيت المقدمة منذ أن وقعت عليها الأنظار بعناية المفكرين والمؤرخين وعلماء الاجتماع والفلاسفة واللغويين عرباً ومستشرقين، كما طبعت عدّة مرّات بتحقيقات مختلفة.

وجاء الجزء الثاني ليعالج الانتفاضات التي حدثت من الخوارج وغيرهم. ثم بدأ الجزء الثالث بولاية أسفار على جورجان والري، وانتهى بالخبر عن الآثار التي أظهرها السلطان في أيامه. واستهل الجزء الرابع بالخبر عن فرار أبي إسحاق وبيعة رباح له، وما قارن ذلك من أحداث، وانتهى بولاية القضاء الثالثة والرابعة والخامسة بمصر. وقد أنجزه أولاً في مدة خمسة أشهر، من عام (٧٧٩هـ/١٣٧٨م) أثناء إقامته عند بني العريف في قلعة بني سلامة بوهران. ثم نقحه بعد ذلك وهذبه وألحق به تاريخ العرب وأخبار البربر وزناتة، وأهداه إلى المستنصر أبي العباس، الذي تولى إمارة تونس من سنة (٧٧٢ حتى ٧٩٦هـ). وكانت هذه النسخة موجودة حتى عام (١٨٥٨م). كما يفهم من كلام نصر الهوريني في نشرته (١٨٥٨م). فلما ترك تونس إلى مصر عكف على تهذيب الكتاب والزيادة عليه، زهاء (٢٠) سنة، فأضاف إليه الجزء الخاص بملوك العجم، وأقساماً أخرى ألحقها بمواضعها.

وقال المقريزي في حديثه عن المقدمة: (لم يعمل مثالها، وانه لعزيز أن ينال مجتهد منالها، إذ هي زبدة المعارف والعلوم، ونتيجة العقول السليمة والفهوم).

## النسخ المترجمة

كتب د. عبد الرحمن بدوي عن الكتاب ومخطوطاته وطبعاته وترجماته إلى مختلف اللغات في كتابه: (مؤلفات ابن خلدون) وفيه الحديث عن اثنين من ولاة سوريا في العهد العثماني كان لهما أكبر الأثر في ترجمة الكتاب إلى التركية ونشره، وهما الوالي صبحي باشا (ت ١٨٨٦م) العلامة الجليل صاحب (عيون الأخبار في النقود والآثار) و(تكملة العبر)، والوالي أحمد جودت باشا (ت ١٨٩٥) الذي ترجم القسم السادس من المقدمة، وهو أهم أقسامها، وكانت الترجمة التركية الأولى قد أغفلته.

وإلى كتاب آخر نبحر من خلاله ونرسو على شطآنه.

والحمد لله رب العالمين.

# مشكلات زوجية وحلول (٢)

إعداد **د. جمال عبد الرحمن**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه. وبعد؛ ففي هذا العدد إن شاء الله تعالى نواصل الحديث عن حق المرأة حال حدوث مشكلات زوجية بينها وبين زوجها. والمعلوم لدى عموم الناس أنه لا يخلو بيت من مشكلة؛ تقل وتزيد من بيت إلى بيت لاعتبارات كثيرة. حتى بيوت الأنبياء؛ بل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واجهته في بيوت أزواجه مشكلات متعددة، فما بالنا بمن هم دون الأنبياء والصالحين؟ والعبرة تكمن في طريقة المعالجة.

## إفساد المرأة على زوجها

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ليسَ منّا من خبَّبَ امرأةً على زوجها أو عبدًا على سيِّده". (صحيح أبي داود ٢١٧٥).

الإسلامُ دينُ العَدْل والرَّحمَة، وقد قام على أُسُس مَتينَة من شأنها تَقْويَةُ الرَّوابط والعلاقاتَ بين أفراد المجتمَع المسلم؛ بما يُحقّق التّآخِي والتّآلُف، ويَحفظ المجتمَعَ من عوامل التّفكّك والانشقاق.

وفي هذا الحديث تتجَلى تعاليمُ الإسلام العاليةُ حيثُ يُحذر النّبيُّ صلى الله عليه وسلم مَن يُوقعَ العَداوةَ بين النّاس في العلاقات الاجتماعيَّة فيقول: "ليس منّا مَن خبَّبَ امرأةً على زَوْجها". أي ليس على طريقتنا وسُنّتنا وأحكام شَرْعنا، و»خبَّب امرأةً«، أي: أفسَدَها وخَدَعَها بحيث يُزَيِّنُ لها عَداوةَ الزَّوْج بذكر مَساوئه أو يَذْكُرُ محاسَن رجُلٍ أجنبيٍّ عنها فتُقارنُه بزَوْجها، أو يُحسِّن إليها الطّلاقَ؛ ليتزوَّجَها أو يُزَوِّجَها لغَيْره أو(خبَّبَ عبدًا على سَيِّده) أي: أفسَدَه بأيِّ نوعٍ من الإفساد، كأنْ يُزيِّن له الإباقَ، أي: الهَرَبَ مِن سيِّده، أو طلب البيْع، أو

يهيّجه على سوء معاملته، وغير ذلك من أنواع إيقاع العداوة بينهما. وفي الحديث: التّحذيرُ من إيقاع العداوة بين النّاس، وأنّه من الظّلم البيّن. (انتهى الشرح من الدرر السنية).

أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة.

فإذا أفسد مفسد العلاقة بين الزوج وزوجته شرعت المرأة في محاولة فك رابطة الزوجية وذلك بطلب الطلاق، والشرع الحكيم يدينها عند ذلك خاصة إذا لم يكن سبب الطلاق مقنعًا قبل وسوسة شيطان الإنس والجن.

### التنفير من طلب الطلاق

عند ذلك تتعثر العشرة بين الزوجين فيفكر أحدهما أو كلاهما في الطلاق، فقبل القدوم على مثل هذه الخطوة ينبغي للمرأة أن تعلم أن الله حذرها من التعجل فيه إذا كانت فرصة الإصلاح قائمة وممكنة.

عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة". (صحيح الجامع: ٢٧٠٦).

والمعنى: "أيما امرأة سألت زوجها الطلاق": وفي رواية "طلاقها" من غير ما بأس" بزيادة "ما" للتأكيد، والبأس: الشدة، أي في غير حالة شدة تدعوها وتلجئها إلى المفارقة كأن تخاف أن لا تقيم حدود الله فيما يجب عليها من حسن الصحبة وجميل العشرة لكراهتها له، أو بأن يضارّها لتنخلع منه "فحرام عليها" أي ممنوع عنها "رائحة الجنة". بمعنى لا تدخلها، وعدم الدخول هنا ليس أبديًا وانما تمنع من دخول الجنة حتي تستوفي جزاءها في النار بقدر عصيانها.

كذلك على الزوج ألا يضطر زوجته لطلب الطلاق منه فيحاول أن يضيق عليها لتفارقه بدون خسائر، ألا فليعلم أن الله حرم هذا فقال: «وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ» (الطلاق: ٦).

والغريب والعجيب أن الزوجين يصل بهما الحال إلى أن كلا منهما يريد أن يظفر بالآخر وينتصر عليه، ويحرمه من مستحقاته بأيّ وسيلة كانت حلالاً أو حرامًا، وهذا فعل الفُسّاق الذين لا يطبقون شريعة ولا يهتدون سبيلاً.

فالمرأة تريد الطلاق لكن لا تصرح حتى لا تعامَل معاملة المختلعة، والرجل يريد الطلاق ولا يصرح حتى لا يخسر كل ما أنفق، وما أمامه وما وراءه. إذا كانوا يخفون ذلك عن العباد فهل نسوا أن رب العباد عليهم رقيب، يعلم ما لم يصرحوا به للناس وسيحاسبهم عليه؟ قال تعالى: «وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ» (البقرة:٢٣٥).

### حق التطليق

والطلاق حق للزوج فلا ينبغي أن ينازعه أحدٌ هذا الحق أو يحرَضه عليه ما دامت العشرة قائمة بالمعروف. فقد تتسلط أم الزوج وتتبع هواها، وتريد أن تجبر ابنها على تطليق زوجته، وقد يفعل أبوه مثل ذلك.

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا أيها الناس: ما بال أحدكم يزوّج عبده أمته ثم يريد أن يفرق بينهما؟ إنما الطلاق لمن أخذ بالساق" (صحيح الجامع: ٧٨٨٧).

### إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان

فإذا تم الطلاق فليكن بالمعروف كالزواج، وإن كان الزواج في هذه الأيام لم يعد أكثره بالمعروف أيضا إلا من رحم الله، وقليلٌ ما هم.

عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رَسولَ اللَّه، ثابتُ بنُ قَيْس، ما أَعْتِبُ عليه في خُلُقٍ ولا دِينٍ، ولَكِنِّي أكْرَهُ الكُفْرَ في الإسْلامِ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقبل الحديقة وطلقها تطليقة" (صحيح البخاري ٥٢٧٣).

وعن أنس بن مالك قال: جاءت امرأة ثابت بن قيس بن شماس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا نبي الله إني أخاف أن أدخل النار، لا أصبر. فقال: " أتردين الحديقة التي أخذتيها منه؟" قالت: نعم. فأرسل إلى ثابت فقال: "خذ منها الحديقة وخل عنها". ففرق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما. (الأحاديث المختارة ج٦ ص: ٩٧).

للرجل أن يعدد بشرط: أن يكون حازمًا، حكيمًا، حليمًا، عالمًا بأحكام التعدد.

فهذه المرأة الصحابية الورعة لا تحب زوجها من جهة شكله، وإن كانت تشهد له بالخلق والعبادة، فخافت ألا تحسن عشرته فتدخل النار بسبب تقصيرها في حقه؛ ففارقته بالمعروف كما أمر الله تعالى، وتنازلت له عن مهرها ولم تطمع فيه، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

### الزواج الثاني:

أما من بارك الله له في زواجه وزوجته، وشعر بالسعادة الزوجية فأراد أن يستزيد فله ذلك بشرط أن يكون حكيمًا حازمًا وحليمًا عالمًا؛ بأحكام التعدد وهذه الصفات لا تجتمع في رجل في الغالب.

عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعًا، وإذا تزوج الثيب على البكر أقام عندها ثلاثا". (صحيح الجامع: ٤٢٩)، وعليه أن يعدل بينهما، فإن الله يأمر بالعدل والإحسان، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، فلا يجوز للزوج أن يجور، ولا يميل كل الميل فيذرها كالمعلقة.

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كانت له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجر أحد شقيه ساقطا أو مائلا" شك يزيد. (مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٢ ص٢٩٥، قال الأرناؤوط: على شرط مسلم).

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفي حديث عائشة الذي أخرجه البيهقي والحاكم وصححه، ولفظ أبي داود في رواية: كان النبي صلي الله عليه وسلم «لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان ما من يوم إلا وهو يطوف علينا جميعا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ التي هو يومها فيبيت عندها». وفيه دليل على أنه لا يشترط في العدل بين الزوجات أن يفرد لكل واحدة ليلة بحيث لا يجتمع فيها مع غيرها، بل يجوز مجالسة غير صاحبة النوبة ومحادثتها، ولهذا كن يجتمعن كل ليلة في بيت صاحبة النوبة. وكذلك يجوز للزوج دخول بيت غير صاحبة النوبة والدنو منها واللمس إلا الجماع كما في حديث عائشة المذكور.

قوله: (يميل لإحداهما) فيه دليل على تحريم الميل إلى إحدى الزوجتين دون الأخرى إذا كان ذلك في أمر يملكه الزوج كالقسمة والطعام والكسوة. ولا يجب على الزوج التسوية بين الزوجات فيما لا يملكه كالمحبة ونحوها لحديث عائشة الآتي. وقد ذهب أكثر الأئمة إلى وجوب القسم بين الزوجات. (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقسم فيعدل ويقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» رواه الخمسة إلا أحمد). (نيل الأوطار: ٦/٢٥٧).

وللحديث صلة بإذن الله، والحمد لله رب العالمين.

# قصة سبعينات الألوف من الحسنات والدرجات عند الكعبة

إعداد علي حشيش

نواصل في هذا البحث تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

### أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١-وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية مثل كتاب «الترغيب والترهيب» للأصبهاني، كما سنبين من التخريج.

٢- والأصبهاني الذي أخرج هذه القصة لم يكن شخصًا عاديًا، خطيبًا أو واعظًا، ولكن قال عنه الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١٠٧٥/١٢٧٧/٤) في الطبقة الخامسة عشرة (١٥/٤٣/١٠٧٥): «الحافظ شيخ الإسلام أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي التيمي الطلحي الأصبهاني الملقب بقوَام السنة صاحب «الترغيب والترهيب»، وغير ذلك، ولد سنة سبع وخمسين وأربع مائة، حدَّث عنه: أبو سعد السمعاني والسلفي، وأبو القاسم بن عساكر، وأبو موسى المديني وآخرون، قال أبو موسى: أبو القاسم الحافظ إمام أئمة وقبة، وأستاذ علماء عصره وقدوة أهل السنة في زمانه مات يوم الأضحى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة».

٣- والحافظ الأصبهاني قد أسند هذا الخبر ومن أسند فقد أحال. وبهذا يستطيع من الحديث صناعته أن يقف على علة هذا الخبر، كما سنبين ذلك من التخريج والتحقيق.

٤- هذا الخبر الذي جاءت به قصة سبعينات الألوف من الحسنات والدرجات وحط السيئات عند الكعبة من الأخبار المنكرة التي نبه عليها الإمام ابن القيم في «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» فصل (٦) حيث قال: «ونحن ننبه على أمور كلية: يعرف بها كون الحديث موضوعًا، فمنها (١): اشتماله على أمثال هذه المجازفات التي لا يقول مثلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كثيرة جدًا كقوله في الحديث المكذوب: «ومن قال: لا إله إلا الله خلق الله من تلك الكلمة طائرًا له: سبعون ألف لسان، لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون الله له».

ومن فعل كذا وكذا أعطى في الجنة سبعين ألف مدينة، في كل مدينة سبعين ألف قصر، في كل قصر سبعون ألف حوراء».

وأمثال هذه المجازفات الباردة التي لا يخلو حال واضعها من الكذب». اهـ.

٥- قلت: وما أورده الإمام ابن القيم من أمثلة للمجازفات التي تنبه على كون الحديث موضوعًا والتي بها سبعينات الألوف.

هذه القاعدة تنطبق تمام الانطباق على خبر هذه القصة حيث جاء فيه كما سنبينه في المتن:

«فإذا طاف بالبيت كتب الله له بكل قدم سبعين ألف حسنة، وحط عنه سبعين ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف درجة».

٦- ولم نكتف بهذا التنبيه الذي ذكره الإمام ابن القيم في معرفة أن الحديث موضوع ولا يصح؛ بل لا بد من الصناعة الحديثية والتي بها تستبين العلة وهنا يطمئن القلب للحكم على الحديث بأنه لا يصح بل منكر.

٧- لذلك قال الإمام القاسم في «قواعد التحديث» الباب السادس في «الإسناد» (مبحث فضل الإسناد): «اعلم: أن الإسناد في أصله خصيصة فاضلة لهذه الأمة ليست لغيرها من الأمم، وقال ابن المبارك: «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء». أخرجه مسلم». اهـ.

قلت: أخرجه مسلم في «مقدمة الصحيح» باب «الإسناد من الدين»، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن قهزاد من أهل مرو قال: سمعت عبدان بن عثمان يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول فذكره.

### ثانيا: المتن:

رُوِيَ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم أتى الركن ليستلمه خاض في الرحمة، فإذا استلمه، فقال : بسم الله، والله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، غمرته الرحمة فإذا طاف بالبيت كتب الله له بكل قدم سبعين ألف حسنة وحط عنه سبعين ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف درجة وشفع في سبعين من أهل بيته، فإذا أتى مقام إبراهيم فصلى عنده ركعتين إيمانًا واحتسابًا كتب الله له عتق أربعة عشر محررًا من ولد إسماعيل وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه». اهـ.

### ثالثا: التخريج:

هذا الخبر الذي جاءت قصة «سبعينات الألوف من الحسنات والدرجات وحط السيئات عند الكعبة».

أخرجه الإمام الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني الملقب بقوام السنة في كتابه «الترغيب والترهيب» (٨/٢) (ح١٠٤١)- ط. دار الحديث- القاهرة، قال: «أنبأنا عمر بن أحمد السمسار، أنبأنا أبو الحسن بن عبد كويه، حدثنا عبد الله بن محمد بن إبراهيم الفيجاني، حدثنا عيسى بن إبراهيم الطرموشي، حدثنا آدم بن أبي إياس، ثنا إسماعيل بن عيَّاش، عن المغيرة بن قيس، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص به».

### رابعًا: التحقيق:

١- الحديث رُوِيَ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «من توضأ فأسبغ الوضوء ثم أتى الركن ليستلمه....» ثم أخبر عما يحصل لمن استلم الركن من ثواب مخصوص، ولمن طاف بالبيت من ثواب مخصوص، ولمن صلى عند مقام إبراهيم من ثواب مخصوص، هذا النوع إن صح قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٥٣): يسمى المرفوع من القول حكمًا لا تصريحًا، وهو أن يقول الصحابي الذي لم يأخذ عن الإسرائيليات ما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا تعلق له ببيان لغة أو شرح غريب كالإخبار عن الأمور الماضية: من بدء الخلق، وأخبار الأنبياء أو الإخبار عن الأمور الآتية: كالملاحم، والفتن، وأحوال القيامة، أو الإخبار عما يحصل بفعله ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص.

وإنما كان له حكم الرفع لأن إخباره بذلك يقتضي مخبرًا له، وما لا مجال للاجتهاد فيه يقتضي موقفًا للقائل به ولا موقف للصحابة

إلا النبي صلى الله عليه وسلم». اهـ.

قلتُ: نستنتج بتطبيق هذه القاعدة أن هذا «الخبر» مرفوع حكمًا لا تصريحًا».

١- حيث أخبر الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص- إن صح الخبر- عما يحصل بفعله ثواب مخصوص.

٢- وهذا الفعل الذي يحصل به ثواب مخصوص لم يؤخذ عن الإسرائيليات من كتب قديمة لأن الخبر بدأ بإسباغ الوضوء، والوضوء خصيصة لهذه الأمة. ففي الحديث المتفق عليه والذي أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح١٣٦)، ومسلم في «صحيحه» (ح٢٤٦) من حديث أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء».

وفي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (ح٢٤٨) من حديث حذيفة، قالوا: يا رسول الله، وتعرفنا؟ قال: «نعم، يردون عليَّ غرًّا محجلين من آثار الوضوء ليست لأحد غيركم». وختم الخبر بالصلاة عند مقام إبراهيم وهو خصيصة لهذه الأمة، ففي «صحيح البخاري» (ح٤١٨٣) من حديث أنس قال: قال عمر: «وافقت الله في ثلاث، أو: وافقني ربي في ثلاث، قلتُ: يا رسول الله، لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى...» وكذا في الحديث الذي أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح٢٣٩٩).

### بيان العلل:

وهذا الخبر المرفوع حكمًا لا تصريحًا خبر منكر لم يصح لما فيه من علل:

العلة الأولى: «المغيرة بن قيس» قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٢٧/١/٤): «مغيرة بن قيس بصري روى عن عمرو بن شعيب سمعت أبي يقول ذلك ويقول: هو منكر الحديث». اهـ.

قلتُ: وهذا المصطلح من الإمام الحافظ الكبير أبي حاتم الرازي (١٩٥-٢٢٧هـ) بالاستقراء يتفق مع الإمام البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ)، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

١-قال الإمام أبو حاتم في «الجرح والتعديل» (٩٥/١/١): إبراهيم بن أبي حية أبو إسماعيل المكي «منكر الحديث». اهـ. وقال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٣): «منكر الحديث».

٢- وقال الإمام أبو حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٠١/١/١): «إسماعيل بن مخراق مديني (منكر الحديث)». وقال الإمام البخاري في التاريخ الكبير (٣٧٤/١/١): «منكر الحديث». اهـ.

وهذا الاتفاق يدل على الجرح الشديد عند الإمامين حيث قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): «قول البخاري: «منكر الحديث» فإنه يريد به الكذابين، ففي «الميزان» للذهبي (٥/١) نقل ابن القطان: أن البخاري قال: «كل من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه».

العلة الأخرى: «إسماعيل بن عياش الحمصي، عن المغيرة بن قيس البصري»، ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٢٣/٢٤٠/١) قال: «إسماعيل بن عياش أبو عُتبة الحمصي قال البخاري: إذا حدث عن أهل بلده فصحيح، وإذا حدث عن غيرهم ففيه نظر».

قلت: وهذا الحديث لم يكن عن أهل بلده؛ لأنه عن المغيرة، وهو بصري، ففي حديثه نظر، وهذا المصطلح للبخاري بينه الذهبي في «الموقظة» (ص٤٩): «إذا قال: فيه نظر، فهو بمعنى أنهم متهم أو ليس بثقة». اهـ. ولذلك نقل الذهبي أن مضرس الأسدي قال: سألت يحيى بن معين عن إسماعيل بن عياش فقال: عن الشاميين حديثه صحيح، وإذا حدث عن العراقيين والمدنيين خلط ما شئت». اهـ. وبهذا يصبح هذا الخبر واهٍ لا يصح، ويغني عنه هذا الحديث المتفق عليه الذي أخرجه البخاري (ح١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه».

والله تعالى أعلى وأعلم.

# درر البحار
# في بيان ضعيف الأحاديث القصار

**٩١٩- «حجوا فإن الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن».**

الحديث لا يصح، أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٢٢/٥) (ح٤٩٩٤) ط مكتبة المعارف بالرياض، قال: حدثنا أبو الفضل القاسم بن محمد البرتي ببغداد، قال: حدثنا إسماعيل بن عبيد الله بن زرارة الرَّقي، قال: حدثنا يعلى بن الأشدق قال: سمعت عمي عبد الله بن جراد يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم... الحديث.

وعلته يعلى بن الأشدق، قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٤٢/٣): «اجتمع عليه من لا دين له فرفعوا له شبيهًا بمائتي حديث نسخة عن عبد الله بن جراد عن النبي صلى الله عليه وسلم وأعطوه إياه فجعل يحدث بها وهو لا يدري، لا يحل الرواية عنه بحال، ولا الاحتجاج به بحيلة ولا كتابته إلا للخواص عند الاعتبار». اهـ. وقال الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٨٧/٧) (٢١٨٦/١٣٣): «يروي عن عمه عبدالله بن جراد أحاديث كثيرة مناكير، وقال حدثنا الجنيدي قال: حدثنا البخاري، قال: يعلى بن الأشدق لا يكتب حديثه». ثم ختم ترجمته فقال: «هذه الأحاديث التي رواها عن عمه مناكير غير محفوظة». وقال الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣٠٣/٢/٤): «سألت أبي عن يعلى بن الأشدق فقال: ليس بشيء ضعيف الحديث. وقال سئل أبو زرعة عن يعلى الأشدق فقال: هو عندي لا يصدق ليس بشيء».

**٩٢٠- «ليس الأعمى من يَعْمى بصره، ولكن الأعمى من تعمى بصيرته».**

علي حشيش

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ البيهقي في «شعب الإيمان» (ح١٣٧٢) من حديث يعلى بن الأشد قال: حدثنا عبد الله بن جراد مرفوعًا، وعلته يعلى بن الأشدق لا يكتب حديثه ولا تحل الرواية عنه بحال ليس بشيء، لا يصدق، أحاديثه مناكير غير محفوظة، وضعت له أحاديث حدث بها وهو لا يدري كما بينا ذلك آنفًا.

**٩٢١- «إذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه عند جمال الوجوه».**

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٨٧/٧) من حديث يعلى بن الأشدق قال: حدثنا عبد الله بن جراد مرفوعًا وعلته يعلى بن الأشدق لا يكتب حديثه ولا تحل الرواية عنه بحال ولا يصدق وليس بشيء، يحدث بأحاديث موضوعه وهو لم يدر». كما بينا آنفًا.

**٩٢٢- «أبلغوا أهل مكة والمجاورين أن يخلوا بين الحجاج وبين الطواف، والحجر الأسود، ومقام إبراهيم، والصف الأول من عشر يبقين من ذي القعدة إلى يوم الصدر».**

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٧٢- الغرائب الملتقطة) من حديث عبد الرحيم بن زيد عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، عن أنس بن مالك مرفوعًا، وعلته عبد الرحيم بن زيد وهو بن الحواري العمي نقل الحافظ الذهبي في «الميزان» (٥٠٣٠/٦٠٥/٢): أن البخاري قال: «تركوه»، وقال يحيى: «كذاب»، وقال أبو زرعة: «واهٍ»، وقال الجوزجاني: «غير ثقة». وقال أبو حاتم: «ترك حديثه»

الحلقة 79

# قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

قرائن اللغة على حمل (كلام الله تعالى) على حقيقته بالحرف والصوت..
خلافا لما يعتقده الأشاعرة حيال هذه الصفة بقصرهم إياها على (الكلام النفسي) وأنه بغير حرف ولا صوت

إعداد **أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي**
الأستاذ بجامعة الأزهر

**الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد: فعلى نحو ما تضافرت قرائن النقل المتمثلة في نصوص الكتاب والسنة ونصوص وإجماع الصحابة وتابعيهم بإحسان على إثبات صفة الكلام لله على الحقيقة، وأنه تعالى يتكلم بمشيئته بحرف وصوت يليقان بجلاله.. تضافرت كذلك قرائن اللغة على ذلك.**

### ١ - خلافاً للأشاعرة.. أهل اللغة مجمعون على: أن ما عدا الحرف والأصوات ليس بكلام حقيقة:

فمصطلح ومسمى (الكلام) يطلق في الحقيقة لدى وعلى ألسنة أساطين اللغة وفي لغة العرب، على: اللفظ والمعنى جميعًا.. وأهل العربية مجمعون على أن ما عدا الحروف والأصوات ليس بكلام حقيقة.. وأرباب الشريعة على أن القرآن لم يخرج في كلامه عن سنن العرب وطرائقهم في التعبير، كونه نزل بلغتهم التي درجوا عليها.. وعليه فإن قول الأشاعرة بأن الكلام هو: (المعنى الذي قام في نفس الباري) تفسير مخالف لما دل عليه الكتاب والسنة على نحو ما هو مخالف لما اصطلح عليه العرب في لغتهم، وأن الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أئمة اللغة تقضي ذلك.

يقول ابن أبي العز في شرحه الطحاوية ص١٢١: إن "لفظ (القول) و(الكلام) وما تصرف منهما من فعل ماض ومضارع وأمر واسم فاعل.. إلخ، إنما يُعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظاً ومعنى، وأنه لم يكن في مسمى (الكلام) نزاع بين المتأخرين من علماء أهل البدع، ثم انتشر" واستحدث على يد الفرق الضالة وبخاصة الأشاعرة ليخدموا به قضيتهم في نفي الكلام اللفظي عن الله وليلبسوا على الناس دينهم، ويخلصوا إلى أن ما بين دفتي المصحف ليس بكلام الله وإنما هو عبارة وحكاية عنه.

على أن ما استشهدوا به على شبهاتهم بقول عمر يوم السقيفة: (زوّرتُ في نفسي مقالة)، يـردُ عليه أن مـراده بالتزوير: تهيئة الكلام وتحسينه وتجميله لما سيقوله بحق تولية أبي بكر الخلافة بعد رسول الله وقد نازعه فيها غيره، بما يعني: "أنه لا يكون قولاً إلا إذا قيل باللسان، وقبل ذلك لم يكن قولاً لكن كان مقدرًا في النفس يُراد أن يُقال، كما يُقدّر الإنسان في نفسه أنه يحُجّ وأنـه يصلي وأنه يسافر إلـى غير ذلـك. فيكون لما يريده من القول والعمل صورة ذهنية مقدرة في النفس" على حد ما جاء في مجموع الفتاوى ١٣٧/٧، وعلى ما تقضي به لغة العرب.

كما أن استدلالهم بقول الأخطل النصراني:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

استدلال باطل، وأنـه فضلاً عما شابه من تشكيك في عزوه إلى صاحبه، فإنه لا يحق لمسلم أن يستدل بقول نصراني على غير ملة الإسلام قد ضل في معنى (الكلام) على معنى (الكلام)، ويُترك ما يُعلم من معنى (الكلام) في لغة العرب؟!، لاسيما إن كان ما يُستشهد به من شعر هو من دينه ومعتقده.

وقد سبق أن خلصنا: إلى أن مسمى (الكلام) و(القول) ونحوهما، ليس هو مما يُحتاج فيه إلى قول شاعر، كون هذا مما تكلم به الأولون والآخـرون من أهـل اللغة وعرَّفوا معناه كما عرفوا مسمى (الـرأس) و(اليد) و(الرجل) ونحو ذلك.. وإلى أن معنى بيت الأخطل الذي اتكأ عليه الأشاعرة (إن الكلام لفي الفؤاد.. إلخ) إضافة إلى فساده لما سبق، فإن لازمه: أن الأخرس يسمى (متكلمًا) لقيام الكلام بقلبه وإن لم ينطق به ولم يُسمع منه، وأنه مع كل هذا وعلى افتراض صحة نسبته إلى الأخطل، مخالف ومناقض لما جاء في قوله هو نفسه قبل هذا البيت:

لا يُعجبنّك من خطيب خطبةً
حتى يكون مع الكلام أصيلا

أي: (حتى يكون الكلام مطابقًا لما يقول)، إذ إن بيته هذا دالٌ على أن الكلام لا يُعدُّ كلاماً إلا إذا اشتمل على اللفظ.

وخلصنا أيضاً: إلى أن الأشاعرة لم يأخذوا بكل هذا الذي قـرره أهـل السنة، وارتضوا- ولا يزالون- بما يخدم عقيدتهم الفاسدة في عدم حمل كلام الله على الحقيقة والادعاء بتنزيهه عـن (اللـفـظ والحـرف والصـوت والنـزول) كونها بزعمهم أمـور حادثة، وبما يقضي بأن القرآن إنما هو كلام جبريل ألهمه الله إياه.. ونزيد هنا:

### ٢ - تحرير مصطلحات: (الكلام) و(المتكلم) و(المتكلم به) و(اللفظ):

ما نقله ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤٨٧- وذلك فيما عنون له البخاري تحت (باب ما جاء في قوله: «وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا » النساء/ ١٦٤ »)- من إجماع على أن (كلَّم) من (الكلام)، فقد قال فما نصه: "أجمع السلف والخلف من أهل السنة وغيرهم، على أن: (كلَّم) هنا من (الكلام)"، كما نقل عن النحاس قوله: "أجمع النحويون على أن الفعل إذا أُكد بالمصدر لم يكن مجازًا، فإذا قال: (تكليمًا) وجب أن يكون كلامًا على الحقيقة التي تعقل، وأجاب بعضهم بأنه كلام على الحقيقة لكن محل الخلاف: هل سمعه موسى من الله حقيقة أو من الشجرة؟.

ورُدّ هذا بأنه لابد من مراعاة المحدَث عنه، فهو لرفع المجاز عن النسبة، لأنه قد نسب الكلام فيها إلى الله فهو المتكلم حقيقة، ويؤكده قوله في سـورة الأعـراف: (إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ) (الأعراف/١٤٤)".. وهذا حق، وإلا "فإذا كان كلامه تعالى وتكليمه، وخطابه ونداؤه، وقوله وأمره، ونهيه ووصيته، وعهده وإذنـه، وحكمه وأنـبـاؤه، وأخـبـاره وشهادته، مجاز لا حقيقة له، لبطلت الحقائق كلها فإن الحقائق إنما حُقّت بكلمات تكوينه (وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ) (يونس/٨٢)، فما حُقّت الحقائق إلا بقوله وفعله". كذا في

مختصر الصواعق ص٥٠٩.

### ٢- وللأصبهاني في تحرير مصطلحي: (المتكلم) و(اللفظ) من ناحية اللغة، كلام جيد يكشف عن:

أ-خطأ مَن جعل من الأشاعرة حدّ المتكلم: (مَن قام الكلام بذاته)، ومَن جعل من المعتزلة حدّه: (مَن وُجد منه الحرف والصوت) ثم قال بخلق القرآن بزعم تنزيه الله عن حدوث الكلام، واللذين مؤداهما مفارقة المتكلم سبحانه للكلام، حيث قال في كتابه: (الحجة في بيان المحجة) ٢/٢٠٤، ما نصه: "والدليل على أن الكلام لا يفارق المتكلم: أنه لو كان يفارقه لم يكن للمتكلم إلا كلمة واحدة، فإذا تكلم بها لم يبق له كلام، فلما كان المتكلم قادرًا على كلمات كثيرة بعد كلمة، دل على أن تلك الكلمات فروع لكلامه الذي هو صفة له ملازمة".

ب-وخطأ من قال: (إن القرآن مخلوق)، ودليل خطئه: أنه كلام الله، وكلام الله سبب إلى خلق الأشياء، فقوله: (كن) كلام الله وصفته، والصفة التي منها يتفرع الخلق والفعل وبها يتكون المخلوق لا تكون مخلوقة ولا يكون مثلها للمخلوق، ودليل ذلك أنه كلام لا يشبه كلام المخلوقين، وأنه كلام معجز وكلام المخلوقين غير معجز.

جـ-وخطأ قولهم: (لفظي بالقرآن مخلوق)، ذلك أن "أهل اللغة قالوا: (اللفظ) في كلام العرب يعني: (الإخـــراج)، يقال: (لفظت الشيء عن الشيء: أخرجته منه)، فاللفظ: (كلام مُخرج عن الفم، له معنى يفهمه السامع)، وإذا لم يكن هكذا لا يسمونه لفظًا.. والعرب تريد باللفظ: (الملفوظ)، لأنه وإن كان مصدرًا فالمصدر في الحقيقة مفعول به لأن الفاعل يفعله، وعليه فحقيقة اللفظ: (ما يخرجه الإنسان من فمه)، وقولهم: (لفظي بالقرآن مخلوق) وسيلة إلى القول بخلق القرآن، فاللفظ الذي يقوله المتكلم: إما أن يُنشئه من نفسه ويلفظه من فمه فهذا لفظه خاصة، وإما أن يُنشئه غيره فيكون ذلك اللفظ لذلك المتكلم المؤدّي.

فلو أنك قرأت لامرئ القيس: (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)، فإن السامع يسمعه منك وقد لفظ به امرؤ القيس، فإذا قلت: (لفظي بقول امرئ القيس)، كان خطأ لأن الذي لفظت له ليس بلفظ لك؛ بل هو لفظ امرئ القيس وإذا سمعه سامع قال: (ما أحسن لفظ امرئ القيس وقوله!) ولا يقول: (ما أحسن لفظك وقولك!)، وإذا قال ذلك كان مخطئًا.

وهكذا القرآن إذا قرأه قارئ، فإنما قرأ كلام الله ولفظ به، ولم يقرأ مع القرآن كلامه الذي هو لفظه، فإذا لم يجز هذا صح أن الذي يُتلفظ به من القرآن كلام الله.. وعليه فقولهم: (لفظي بالقرآن مخلوق) خطأ، لأن قائل هذا يريد أن يتدرج إلى أن يقول: (القرآن مخلوق) وهو لا يجسُر أن يفعله ظاهرًا، فيقوله باطنًا؛ وإنما شجعه على هذا ودفعه إليه: أنه لا يعترف بكلام الله على الحقيقة، وهو عنده مجرد كلام نفسي وما المُنزَل والمقروء إلا كلامُ جبريل أو محمد عليهما السلام ألهمهما الله إياه، وهما وكلامُهما مخلوقان.

فإن قيل: (المراد بقوله: لفظي بالقرآن مخلوق: إخراجي القرآن من فمي مخلوق)، يقال: (هذا مجاز، وحقيقة اللفظ: إخراجي كلام الله من فمي له معنى مفهوم)، ومتى أمكن حمل الشيء على حقيقته لم يجز أن يحمل على المجاز، لأن الحقيقة أصل صحيح والمجاز لا أصل له، وكذا لا يجوز أن يراد بقوله: (لفظي بالقرآن مخلوق) قراءتي، لأن القراءة والقرآن واحد، يقال: (قرأتُ الشيء قراءة وقرآنًا)، ولأن حالفًا لو حلف أن لا يسمع القرآن، فسمع قراءة من يقرأه حنث في يمينه، كما أن إدخال الباء خطأ لا معنى له، فإنها إذا ذهبت- على القول بزيادتها للتأكيد- بقي: (لفظي، القرآن مخلوق)، فيصير المخلوق صفة للقرآن، ويصير (القرآن) بدلًا من (اللفظ) فيصير القرآن مخلوقًا، فهذا دليل على أن قائل هذا يتدرج إلى القول بخلق القرآن في خفية".

وإلى لقاء.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# أسباب وبواعث علو الهمة

إعداد **الشيخ الدكتور: بندر بليلة**

خطيب المسجد الحرام

**الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ؛**

**فاتقوا الله-أيها المؤمنون-، واشكروه على إتمام النعمة، وإدراك البُغية، فإنه لا يُدرَك خيرٌ إلا بعونه، ولا يُنال ما عندَه إلا بفضله، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا ممسك لما أرسل، ولا مرسل لما أمسك، سبحانه، كل الخير في يديه، وكلتا يديه يمين، وجهُه أكرمُ الوجوه، وجاهُه أعظمُ الجاه، وعطيَّته أفضلُ العطية وأهناها، لا يجزي بآلائه أحدٌ، ولا يبلغ مدحته قولُ قائل.**

### علو الهمة من أفضل الأخلاق وأعلاها

أيها المؤمنون: إنَّ مِنْ أجمعِ الفضائلِ وأسناها، وأكـرم الخـلال وأسماها علو الهِمَّة، ومَضاء العزيمة، واتـقـاد الطموح، فإنها تَبعَث على الاشتغال بمعالي الأمـور، ونُشدان الكمالات، واستصغار ما دونَ النهايات، فمن علَتْ همتُه يختار المعاليَ، ومَنْ سَفُلَتْ همتُه لم يزل يدور في فلك الدنايا.

### أصناف الناس من حيث علو الهمة

علو الهِمَّة-عباد الله- سائق إلى كل جميل، وداعٍ إلى كلِ حسن، وهو صفة لازمة لأهل الكمال، وشيمة راسخة عند أربـاب الجد والتشمير، فلا تجد نابهًا وهو دنيء الهِمَّة قاصر العزيمة كليل السعي. صاحب الهِمَّة إذا نوى صدق، وإذا عزم حقق، وإذا سار سبق، لا يعبأ للصعاب، ولا تثنيه الآلام، ولا تزعزعه الأسقام، وليس من خُلُق أخرى أن يكون صاحبه من أهل السيادة من علو الهِمَّة؛ فعالي الهِمَّة سيد القوم، ومقدَّم الأهل، وزعيم الصحب، ورئيس المقام، والناس في هذا الباب دروب شتى، وطرائق قدد، فمنهم مَنْ همةُ قلبه عاليةٌ، وطموح نفسه وثّاب، لكنه لا يدفعه بعمل، ولا يزوجه بسعي، فهذا امرؤ كثير التمني، قليل التعنّي، والأماني من غير عمل كسراب بقيعة أو كبارقٍ خُلَّب.

ومنهم مَنْ هو قاصر الهِمَّة، ضعيف الإرادة، منكسر العزم، فهذا مشتغل بساقط العمل، مكتفٍ بما تكتفي به الدوابُّ الهوامل، لا يتطلع إلى مأثرة، ولا يُسرع إلى ندى، ولا يرجو صقالَ عقله، ولا غياث روحـه، همُّه في لذة ومطعم، ومشرب ولـذة؛ فهو بشريُّ الصـورة، بهيميُّ الحقيقة.

ومنهم مَنْ له همة عالية، وإرادة جازمة، وسعي

دؤوب، ولكنه يَقصُر همتَه على باب دون باب، وعمل دون عمل، فهذا مُحسن لكنه مقصرٌ، وأكمل النفوس-عباد الله- نفس تهم بالمعالي، وتغذ إليه المسير تأويبًا وإدلاجًا، وتستمطر التوفيق والهداية من مانح النفس حياتها، ومعطي الروح قوتها-جل وعلا-، وتجعل همها في كل معنى شريف، وعز منيف، فلا تعجز ولا تقصر، ثم تجعل غاية الهمَّة ومنتهى العزيمة في صلاح القلب، ومداواة علل النفس، وإرادة الآخرة، وقصدها بالقصد الأول، وجمع الهم عليها، وتوفير العزم على إصابة أعلى درجاتها، وأكرم مقاماتها، وأبلغ نعيمها المقيم، وفي ذلك يقول النبي الكريم-صلى الله عليه وسلم- مرشدا ومنبها إلى درجة عالية من علو الهمَّة، لا ترضى بالدون، قال عليه الصلاة والسلام: "إذا سألتم الله فسلوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة"(أخرجه البخاري). والعاقل واللهِ مَنْ لا يرى لنفسه ثمنًا إلا الجنة.

### مثال وقدوة في علو الهمة

أيها المؤمنون: إن علو الهِمَّة مدعاة إلى أن يضرب المرء في كل باب من أبواب الخير بسهم، وألَّا يغنيه قليل الخير عن كثيره، وهو شأن أرباب الكمال، كما جاء أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال لأصحابه: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟" قَالَ أَبُو بَكْرٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَا، قَالَ: "فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟" قَالَ أَبُو بَكْرٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَا، قَالَ: "فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟" قَالَ أَبُو بَكْرٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَا، قَالَ: "فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟" قَالَ أَبُو بَكْرٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ"(أخرجه مسلم).

لله هذه الهمَّة البكرية، ومَنْ لها إذا لم يكن أبو بكر لها، رضي الله عن الصديق وأرضاه.

### قراءة القرآن الكريم بتدبر تُعلي الهمم

أيها المسلمون: هذا النموذج البكري إنما صُنِعَ على نور من كتاب الله، وهدي رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وليس ذلك بدعًا؛ فإن قراءة كتاب الله بالتدبر والتعقل شحذ للهمم، وإذكاء للقرائح، فكل آية من آياته تدعو إلى فضيلة، أو تحذر من رذيلة، فتنبعث النفس، وتتشوق إلى الامتثال، فتحيا فيها الهِمَّة العالية، وتشتعل جذوتها.

### بواعث وأسباب علو الهمة:

أيها المؤمنون: إن مِنْ أبلغِ بواعث علوِّ الهِمَّة في نفس المؤمن قِصرَ الأملِ، وتذكُّرَ سرعة انقضاء الدنيا، فمتى علم العبد ذلك وأيقنَه، توفَّرت همتُه على المعالي، واطَّرح الصغائرَ، واستبَق الخيرات، وسارَع إلى بلوغ المكرمات.

عن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: "أخذ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"(أخرجه البخاري)، وزاد: "وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك"، هذا الحديث-عباد الله- كما قال الحافظ ابن رجب-رحمه الله-: "أصل في قصر الأمل في الدنيا، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنًا ومسكنًا فيطمئن فيها، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر يهيِّئ جهازه للرحيل، وقد اتفقت على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم، قال الله-تعالى- حاكيًا عن مؤمن آل فرعون: (يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) (غافر: ٣٩)، وما أحسنَ قول الإمام ابن القيم-رحمه الله- حين قال: "صدقُ التأهب للقاء الله من أنفع مال العبد وأبلغه في حصول استقامته؛ فإنَّ مَن استعدَّ للقاء الله انقطع قلبُه عن الدنيا ومطالبها، وخمدت من نفسه نيران الشهوات، وأَخبتَ قلبُه لله، وعكفت همتُه على الله، والمقصود أنَّ صدقَ التأهب للقاء الله هو مفتاح جميع الأعمال الصالحة والأحوال الإيمانية والمفتاح بيد الفتاح العليم، لا إله غيره، ولا رب سواه" انتهى كلامه-رحمه الله-.

اللهم صل وسلم على أكرم رسلك وخاتم أنبيائك، وارضَ اللهم عن خلفائه الأربعة الراشدين؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الآل والأصحاب، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم المآب، وعنَّا معهم برحمتك يا كريم يا وهَّاب.

# الاستعداد لرحلة الحج والعمرة

إعداد الشيخ: صلاح نجيب الدق

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَام عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ الأسوة الحسنة وعلى آله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ؛ وَبَعْدُ: فنستطيع أن نوجز الاستعداد لرحلة الحج والعُمْرة في الأمور التالية:

### (١) إخلاص العمل لله تعالى:

يجب على المسلم أن يَعْلَمَ أن إخلاص العمل لله تَعالى ومتابعة النبي، صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ، هما أساس قبول أي عَمَل، ولذا يجب عليه أن يجعل رحلة الحج أو العُمْرة خالصة لوجه الله سُبْحَانَه، لا يريد بذلك رياءً ولا لقباً بين الناس، لأن ذلك مُحبط للأعمال الصالحة.

قالَ الله تَعالى: ( وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ) (البينة: ٥)، وقالَ تعالى: ( وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ) (الزمر ٦٥: ٦٦).

قَالَ الإمامُ البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا خِطَابٌ مَعَ الرَّسُول، صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ غَيْرُهُ. وَقِيلَ: هَذَا أَدَبٌ مِنَ اللَّه، عَزَّ وَجَلَّ، لِنَبِيِّه، صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَتَهْدِيدٌ لِغَيْرِه، لِأَنَّ اللَّه تَعَالَى عَصَمَهُ مِنَ الشِّرْكِ. (تفسير البغوي- جـ٢٠- ص٢٤٤).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى. (البخاري- حديث ١، ومسلم- حديث ١٩٠٧).

### (٢) المبادرة إلى التوبة النصوح:

يجب على المسلم أن يبادر بالتوبة في كل وقت وخاصة عند أداء الحج أو العُمْرة لأنه لا يدري هل يمد الله تَعالى له في عُمره بعد هذه الرحلة المباركة أم ينتهي أجَله وهو يُؤدي المناسك، وهذه التوبة تكون من جميع الذنوب، صغيرها وكبيرها.

#### حقيقة التوبة:

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ( يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ) (التحريم:٨).

قَالَ الإِمَامُ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّه: أَيْ: تَوْبَةً صَادِقَةً جَازِمَةً، تَمْحُو مَا قَبْلَهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ وَتَلُمُّ شَعَثَ التَّائِبِ وَتَجْمَعُهُ وَتَكُفُّهُ عَمَّا كَانَ يَتَعَاطَاهُ مِنَ الدَّنَاءَاتِ. (تفسير ابن كثير- جـ ١٤- ص٦٠).

#### شروط التوبة الصادقة:

قال الإمام النووي رحمه الله: قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى، لا تتعلق بحق آدمي، فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً.

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه، أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها. ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي. (رياض الصالحين- للنووي- ص٢٤: ٢٥).

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: "من كانت عنده مظلمة لأخيه، فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار، ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات، أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه. (البخاري- حديث ٦٥٣٤).

### (٣) اختيار المال الحلال:

إن أفضل ما ينفق المسلم فيه الأموال هو إنفاقها في مرضاة الله تعالى، الذي وعدنا بإخلاف النفقة، والبركة في الرزق: قال الله تعالى: (وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ) (سبأ: ٣٩).

يجب على المسلم أن يختار لحجه وعمرته المال الحلال، البعيد عن الشبهات، وذلك لأن الله سبحانه طيب لا يقبل إلا طيباً. والله تعالى لا يقبل من الصدقات إلا ما كان من مال حلال، ولا يقبل من الأقوال إلا ما كان طيباً: قال سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ) (البقرة: ١٧٢).

### (٤) الوصية بتقوى الله في السر والعلانية:

معنى التقوى: تقوى الله: تعني الخوف من الله تعالى في السر والعلانية.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "أصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه". (جامع العلوم والحكم- لابن رجب- جـ ٢- ص٤٦٨).

يجب على المسلم أن يوصي نفسه وأهله دائماً بتقوى الله واجتناب معاصيه وخاصة عند السفر لأداء مناسك الحج والعمرة، فإنه لا يدري هل يعود إليهم مرة أخرى أم لا؟ وتقوى الله هي وصية الله للأولين والآخرين من بني آدم. قال سبحانه: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ) (النساء: ١٣١)، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ) (آل عمران:١٠٢).

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: يعني بذلك جل ثناؤه: يا معشر من صدق الله ورسوله (اتقوا الله) خافوا الله وراقبوه بطاعته، واجتناب معاصيه (حق تقاته) حق خوفه، وهو أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى. (ولا تموتن) أيها المؤمنون بالله ورسوله، (إلا وأنتم مسلمون) لربكم مذعنون له بالطاعة، مخلصون له الألوهية والعبادة. (تفسير الطبري- جـ٥- صـ٦٣٦).

وقال جل شأنه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ) (الحشر:١٨).

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن. (صحيح الترمذي- للألباني- حديث:١٦١٨).

تقوى الله هي السبيل إلى جنة عرضها السموات والأرض، أعدها الله تعالى للمتقين، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

### (٥) وجوب معرفة مناسك الحج والعمرة:

معرفة مناسك الحج والعمرة واجب على كل مسلم يذهب لأداء هذه المناسك، لأن الله لا يعبد إلا بما شرع، وعلى المسلم دائماً أن يحرص على سؤال العلماء فيما خفي عليه من المناسك حتى لا يقع فيما يبطل حجه أو عمرته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# شهر ذي القعدة أحداث وتاريخ

إعداد أحمد عز الدين محمد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وبعد:

فشهر ذي القعدة ذو مكانة عظيمة لدى المسلمين، فقد شهد عدة أحداث فاصلة في تاريخ المسلمين؛ ففيه اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اعتمر أربع عُمر في ذي القعدة إلا العمرة التي مع حجته من الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة، ومن الجعرانة في ذي القعدة حيث قسم الغنائم وعمرة مع حجته»، وهذا لفظ البخاري رحمه الله تعالى.

وهناك جملة من الوقائع في شهر ذي القعدة على النحو التالي:

**أولًا:** في ذي القعدة سنة ١هـ، سرية الخرار (بالفتح والتشديد)، وهو موضع بالقرب من الجحفة بعث لها رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص في عشرين رجلًا يعترضون عيرًا لقريش، وعهد إليه ألا يجاوز الخرار، فخرجوا مشاة يكمنون بالنهار ويسيرون بالليل حتى بلغوا الخرار صبيحة خمس من ذي القعدة؛ فوجدوا العير قد مرت بالأمس وكان اللواء أبيض وحامله المقداد بن عمر رضي الله عنهم.

**ثانيًا:** غزوة الحديبية وكانت في ذي القعدة سنة ست ٦هـ بلا خلاف. وفيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام وهو بالمدينة أنه دخل وأصحابه المسجد الحرام، وأخذ مفتاح الكعبة، وطافوا واعتمروا وحلَق بعضهم وقصَر بعضهم، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وأخبر أصحابه أنه معتمر فتجهزوا للسفر. قال محمد بن إسحاق فيما يرويه عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما قالا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالًا وساق معه الهدي سبعين بدنة. ويقول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج زائرًا معظمًا للبيت الحرام فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم بالعمرة هو وأصحابه، ليأمن الناس من حربه وتحرك في اتجاه مكة حتى إذا كان قريبًا من عسفان أتاه عينه، فقال: إني تركت قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدًا، وهذا خالد بن الوليد في مائتي فارس على خيلهم قدموا إلى كراع الغميم في الطريق الرئيسي الذي يوصل إلى مكة، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ويح قريش أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين الناس، فإن أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، فما

تظن قريش. فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد سالفتي». وسلك النبي صلى الله عليه وسلم طريقًا وعرًا بين شعاب يخرجه على ثنية المرار مهبط الحديبية، من أسفل مكة، مخالفًا لخالد ومن معه، فانطلق خالد نذيرًا لقريش وأخبرهم أنهم بالحديبية، لينظروا أمرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وجاء إلى الحديبية بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة وكانت خزاعة عَيْبَة نُصح لرسول الله من أهل تهامة، فقال له رسول الله: «إنا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين»، فأمره النبي أن يبلغ قريش ذلك، فأبت قريش دخول النبي وأصحابه مكة أبدًا، حتى لا تشمت بهم العرب كما يزعمون، وأرسلت قريش رسلًا للمفاوضة مع النبي صلي الله عليه وسلم.

وتم التفاوض والاتفاق على:

١ ) أن يرجع عامه هذا ويأتي العام القادم لأداء عمرته صلي الله عليه وسلم.

٢ ) وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين.

٣ ) من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

٤ ) من أتى من قريش إلى المسلمين مسلمًا يرجع، ومن أتى من المدينة إلى المشركين لا يرجع.

وتم الصلح، وكان فتحًا مبينًا أعز الله به الإسلام وأهله، وهذا الصلح كان سببًا في فتح مكة بعد ذلك. وكان طورًا جديدًا للمسلمين أمام انسحاب أعتى الأعداء من الحرب أمام المسلمين.

**ثالثًا:** معركة فحل بيسان (ذو القعدة ١٣ هـ) وهو مكان بين فلسطين والأردن وفيها ظن الروم أن المسلمين على غرة فخرج سقلاب بن مخراق قائد جيش الروم في جيش كبير فكان أبو عبيدة ميمنة المسلمين وخالد على مقدمة المسلمين وعمرو بن العاص على الميسرة وضرار بن الأزور على الخيل. وعلى الرجال عياض بن غنم هؤلاء الصحابة القادة رضي الله عنهم أجمعين تحت قيادة شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه، أمير هذه الحرب، وهو لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة واستعداد تام للحرب، فقاتلوا الروم وركبوا أكتافهم وقتل قائدهم سكلاب، ثم قتل كثير من الروم، وفر مَن بقي منهم وغنم المسلمون شيئًا كثيرًا ومالًا جزيلًا، ثم انصرف أبو عبيدة ومن معه إلى حمص.

**رابعًا:** وقعة جلولاء في ذي القعدة سنة ١٦هـ، وهي مدينة في مفترق الطرق إلى أذربيجان وقد اجتمع فيها الفرس بعد هزيمتهم، وحصّنوها وحفروا حولها الخنادق، وكان كسرى وهو يزدجرد بن شهريار قد سار من المدائن هاربًا إلى حلوان جمع وهو في الطريق رجال وأعوان وجنود من البلدان فاجتمع إليه خلق كثير وجمّ غفير من الفرس وأمّر عليهم جميعًا قائدًا من الفرس اسمه مهران وسار كسرى إلى حلوان وأقام الجمع الذي بينه وبين المسلمين في جلولاء واحتفروا خندقًا عظيمًا حولها وأقاموا بها في العدد وآلات الحصار، فلما علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك أرسل عمر إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كتابًا أن يقيم هو بالمدائن ويبعث ابن أخيه هاشم بن عتبة أميرًا على جيش المسلمين الذي يبعثه إلى كسرى. ويكون على المقدمة القعقاع ابن عمرو ففعل سعد ما أمره عمر رضي الله عنهم، وبعث على ابن أخيه جيشًا يقارب اثني عشر ألفًا من سادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأنصار ورءوس العرب وساروا حتى انتهوا إلى المجوس وهم بجلولاء، قد خندقوا عليهم فحاصرهم هاشم بن عتبة رضي الله عنهم، وقام هاشم فيهم خطيبًا غير مرة فحرّضهم على القتال والتوكل على الله، فلما كان يوم الفصل والفرقان، اقتتلوا قتالًا شديدًا لم يعهد مثله، وحانت صلاة الظهر فصلى المسلمون إيماءً، ثم وقف المسلمون على خندقهم وهربت الفرس كل مهرب، وأخذهم المسلمون من كل وجه، وقعدوا لهم كل مرصد، فقتل من الفرس مائة ألف حتى هلكوا وجه الأرض بالقتلى، فلذلك سميت جلولاء وغنم المسلمون من الأموال والسلاح والذهب والفضة ثلاثين ألف ألف فكان الخمس ستة آلاف ألف وغنموا دواب كثيرة جدًا، وبعث سعد بالأخماس من المال والرقيق والدواب مع زياد بن أبي سفيان، وكان بين فتح جلولاء وفتح المدائن تسعة أشهر.

هذا فيض من مجدنا التليد وتاريخ المسلمين العظيم، والله تعالى من وراء القصد.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

# شرف المؤمن

إعداد **الشيخ: عبده أحمد الأقرع**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد.

فإن قيام الليل عبادة من أجل العبادات، وقربة إلى الله من أفضل القربات، التي يكتب الله بها لعباده الدرجات، ويحط عنهم بها الخطيئات، ويرفعهم بسببها إلى أعلى الغرفات في درجات الجنات، ويعطون عليها من الأجر ما لا يعلمه إلا الله. كما جاء في القرآن: « تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (السجدة: ١٦-١٧).

أي: فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لما أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب، جزاءً وفاقًا، فإن الجزاء من جنس العمل.

قال الحسن البصري: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر.

قوله: « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ » (السجدة: ١٧).

وقد أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بقيام الليل. فقال سبحانه: « يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا » (المزمل: ١-٤).

وقال سبحانه وتعالى: « وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا » (الإسراء: ٧٩).

وقال سبحانه: « وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا » (الإنسان: ٢٦)، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطاع وقام الليل حق قيام، فأنزل الله فيه قرآن: « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ » (المزمل: ٢٠)، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: « أفلا أكون عبدًا شكورًا ». متفق عليه.

**وفضل قيام الليل عظيم وأجره كبير.**

ومن ذلك أنه : دليل الإحسان. قال الله تعالى: «إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (١٥) ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» (الذاريات: ١٥-١٨).

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام». (رواه الترمذي: ٢٤٨٥).

ومن ذلك : سكنى غرف الجنة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام». (صحيح الجامع: ٢١٢٣).

ومنها: الظفر بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحمَ الله رجلا قامَ من الليل فصلى، وأيقظ امرأتَه، فإن أبَت، نضحَ في وجهها الماءَ. رحمَ الله امرأةً قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبى، نضحت في وجهه الماء» (صحيح أبي داود ١٣٠٨).

وعن ربيعة بن كعب رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فآتيه بوضوئه وحاجته. فقال لي: «سلني». فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: «أو غير ذلك؟». قلت: هو ذاك. قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود». (صحيح الجامع: ٣٨٨)

والمواظبة على قيام الليل فيه كثرة سجود لله.

وكذلك: الوقاية من بول الشيطان في الأذن.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل نام ليلة حتى أصبح، قال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه- أو قال: في أذنه». متفق عليه.

ومنها: يحبهم الله، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة يحبهم الله، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم: وذكر: «والذي له امرأة حسنة، وفراش لين حسن، فيقوم من الليل، فيقول: يذر شهوته ويذكرني، ولو شاء رقد، والذي إذا كان في سفر، وكان معه ركب، فسهروا، ثم هجعوا، فقام من السحر في ضراء وسراء». (صحيح الترغيب: ٦٢٩).

ومنها: أجرهم لا يعلمه إلا الله عز وجل: قال الله تعالى: «تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ» (السجدة: ١٦-١٧).

قال ابن القيم رحمه الله: "أخفوا العمل عن الناس فأخفى الله عنهم الأجر. ولما كانت قرة عينهم في الصلاة وعدهم الله بما تقر أعينهم في الجنة والجزاء من جنس العمل".

فصلاة الليل، فيه تصفو الأوقات وتحلو المناجاة، وقد تنافس الصالحون في ظلمائه، وأحبوا الدنيا لليلها، لما حضرت الوفاة معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «اللهم إني كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر». (أحمد في الزهد: ١٠٠٣).

وحسبك أن قيام الليل طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى: «وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا» (النساء: ٦٩، ٧٠). فهل يزهد أحد في هذا الخير الكثير، والثواب العظيم؟

نسأل الله الهداية والتوفيق.

# عبادة الله في النوم

إعداد **الشيخ صلاح عبد الخالق**

الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وبعد:

فالنوم نعمة وآية من الله، قال تعالى: « وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ » (الروم: ٢٣).

"وَمِنْ آياته الدَّالَّة على عَظَمَته وكَمَال قُدْرَته، ما جَعل الله مِنْ صفة النَّوْم في اللَّيْل وَالنَّهار، فيه تَحْصُل الرَّاحَة وَسُكُونُ الْحَرَكَة وَذَهابُ الْكَلَال وَالتَّعَب" (تفسير ابن كثير: ٦/٢٧٩).

ينام الإنسان في الغالب ثلث عمره؛ فلماذا لا نحول هذا الوقت الطويل من العمر من عادة من العادات إلى طاعة من الطاعات تؤجر عليها ونتاجر بها مع الله الغني.

## أولاً: من آداب قبل النوم:

١- استحضار نية صالحة للنوم: قَالَ مُعَاذُ بن جبل: "إني أَحْتَسِبُ نَوْمَتي كما أَحْتَسِبُ قَوْمَتي" (البخاري: ٤٣٤١). أحتسب: أطلب الثواب من الله (نومتي) فترة نومي. عند النوم أستحضر نية النوم للتقوى على طاعة الله تعالى بذلك تكون في عبادة تؤجر عليها وأنت نائم.

٢- النوم على وضوء: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ. (رواه البخاري ٢٤٧، ومسلم ٢٧١٠).

### من فوائد الوضوء قبل النوم منها:

أ- دعاء الملائكة:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، قَالَ: "طَهِّرُوا هَذِهِ الأَجْسَادَ طَهَّرَكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ يَبِيتُ طَاهِرًا إِلا بَاتَ مَلَكٌ في شِعَارِهِ لا يَنْقَلِبُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلا قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا". (المعجم الكبير للطبراني ١٣٤٤٥، وصحيح الجامع ٣٩٣٦). (طهروا هذه الأجساد) يعني عند النوم (في شعاره) أي الثوب الذي يلي الجسد. فعلة الدعاء بالمغفرة كونه بات على طهارة. (التنوير شرح الجامع الصغير: ٧/١٣٩).

ب- حُسن الخاتمة: يَبيت على طَهارة لِئَلَّا يَبْغَتَهُ الْمَوْت فيكون على هَيْئَة كاملة. (فتح الباري ١١/١١٠).

٣- النوم على الجانب الأيمن: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ. (رواه البخاري ٢٤٧، ومسلم ٢٧١٠).

### من فوائد النوم على الجانب الأيمن:

أ- تخفيف ثقل الجسد على القلب لأنه الرئة اليسرى أصغر حجمًا من اليمنى.

ب- استقرار الكبد فلا تبقى معلقة، فتعمل بشكل سليم.

ج- ارتياح المعدة، وقدرتها على إفراغ الطعام بسهولة بعد الهضم.

٤- سهولة وظيفة القصبات الرئوية، وانتقال الأكسجين في القصبة الهوائية، الأمر الذي يحمي من الإصابة بالعديد من الأمراض كالزكام ونزلات البرد وجفاف اللثة التي تتضاعف نسبة حدوثها في حالة التنفس من الفم.

٤- احذر النوم على البطن: عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: مَرَّ بِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي، فَرَكَضَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: "يَا جُنَيْدِبُ، إِنَّمَا هَذِهِ ضِجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ" (سنن ابن ماجه ٣٧٢٤، وصحيح الجامع ٢٢٧١)، وزاد الترمذي (٢٧٦٨): «إِنَّ هَذِهِ ضِجْعَةٌ لَا يُحِبُّهَا اللَّهُ». مضطجع: أي: منبطح (على بطني) نائمًا (فركضني) أي: ضربني وحركني (برجله) وأيقظني (وقال: يا جُنيدب) تصغير جندب الذي هو اسم أبي ذر (إنما هذه ضجعة أهل النار) وأصحابها. فتكره هذه الهيئة للمؤمن؛ لما فيها من التشبه بأهل النار. (مرشد ذوي الحجا ٢٢/٩٠).

## من أخطار النوم على البطن:

أ- زيادة حصوات الكلى: حيث أثبتت الدراسات أن من ينام على بطنه أكثر عرضة لتكوين حصوات الكلى.

ب- إضعاف عضلات البطن وبروز المعدة وجعلها مترهلة.

ج- تقوس للظهر مع مرور الوقت وإصابة فقرات الظهر بالإجهاد.

د- تضرر الرقبة وربما تكلسها؛ نظرًا لعدم تناسق الجسم أثناء النوم على البطن، إضافة إلى شعور الشخص بالتشنج والانقباض في الأعصاب.

٥- قراءة آية الكرسي: الآية (٢٥٥) سورة البقرة.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَصَّ الحَدِيثَ، فَقَالَ: "إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ"، وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ» (رواه البخاري ٥٠١٠).

وصية الشيطان للإنسان وأقرها النبي صلى الله عليه وسلم وهي عند النوم، اقرأ آية الكرسي لتنام في سعادة واطمئنان بعيدًا عن وساوس الشيطان.

٦- قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ البَدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ» (رواه البخاري ٢٧٣٨، ومسلم ١٦٢٧).

- كفتاه: قِيلَ مَعْنَاهُ كَفَتَاهُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَقِيلَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَقِيلَ مِنَ الآفَاتِ وَيَحْتَمِلُ مِنَ الجميع. (شرح النووي ٦/٩١).

٧- قراءة المعوذات: عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَبِالْمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ» (صحيح البخاري ٥٧٤٨). وفائدة النفس التبرك بتلك الرطوبة والهواء والنفس المباشرة للرقية. (مرعاة المفاتيح ٥/٢٢٢).

٨- التسبيح والتحميد والتكبير: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ فَاطِمَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم تَسْأَلُهُ خَادِمًا وَشَكَتِ العَمَلَ، فَقَالَ: «مَا أَلْفَيْتِيهِ عِنْدَنَا» قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكِ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْ خَادِمٍ؟ تُسَبِّحِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرِينَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، حِينَ تَأْخُذِينَ مَضْجَعَكِ» (رواه مسلم ٢٧٢٨). كيف يكون خيرا من الخادم؟ وأجيب بأنه تعالى لعله يُعطي للمسبح قوة يَقدر بها على الخدمة أكثر مما يقدر الخادم عليه، أو يُسهل الأمور عليه بحيث يكون فعل ذلك بنفسه أسهل عليه من أمر الخادم بذلك. (حاشية السندي على صحيح البخاري ٣/١١٠).

ولذا فالمؤمن يثابر على اغتنام فضائل النوم على وضوء، وعند التعار من الليل؛ فليسأل الله عز وجل وليتيقن من الإجابة.

والحمد لله رب العالمين.

# حكم من مات من أطفال المسلمين والمشركين

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد.

أما بعد: فإن مما لا شك فيه أن أبناء المسلمين الذين ماتوا صغارًا فهم في الجنة، ويثور الخلاف في أبناء الكفار والمشركين، هل هم في الجنة أم لا، وسوف نعرض بالتفصيل لهاتين المسألتين على النحو التالي:

### الوقفة الأولى: حكم أطفال المسلمين:

أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة؛ لأنه ليس مكلفًا.

الأدلة على كونهم في الجنة:

### من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: «وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ امْرِىٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ» (الطور: ٢١).

وجه الدلالة: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ اللهَ ليرفعُ ذِرِّيَّةَ المؤمنِ إليه في درجته، وإن كانوا دونه في العملِ، لتَقَرَّ بهم عينُه، ثم قرأ: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ) الآية، ثم قال: وما نقَصْنا الآباءَ بما أعطينا البنينَ» (أورده ابن كثير في التفسير، وصححه الألباني).

**إعداد** **المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم**

**نائب رئيس هيئة قضايا الدولة**

٢- قال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَٰبَ الْيَمِينِ» (المدثر: ٣٨ - ٣٩).

وجه الدلالة: عن علي بن أبي طالب أن أصحاب اليمين هم أطفال المسلمين، قال ابن عبد البر رحمه الله في " التمهيد ": «ولا مخالف له في ذلك من الصحابة» اهـ.

### من السنة النبوية:

١- عن أبي حسان الأعرج قال: «قُلتُ لأَبِي هُرَيْرَةَ: إنَّه قدْ مَاتَ لِيَ ابْنَانِ، فَما أَنْتَ مُحَدِّثي عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ بحَدِيثٍ تُطَيِّبُ به أَنْفُسَنَا عن مَوْتَانَا؟ قالَ: قالَ: نَعَمْ، صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ، أَوْ قالَ أَبَوَيْهِ، فَيَأْخُذُ بثَوْبِهِ، أَوْ قالَ بيَدِهِ، كما آخُذُ أَنَا بصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هذا، فلا يَتَنَاهَى، أَوْ قالَ فلا يَنْتَهِي، حتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الجَنَّةَ» (رواه مسلم).

دعاميص: جمع دعموص، وهو دويبة صغيرة تكون في الماء لا تفارقه. صنفة الثوب: طرفه وحاشيته.

وجه الدلالة: قال القرطبي- رحمه الله- في " التذكرة ": «في هذا الحديث ما يدل على أن صغار أولاد المؤمنين في الجنة، وهو قول أكثر أهل العلم، وهو الذي تدل عليه أخبار صحيحة، وظاهر قوله تعالى: " والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم" » اهـ.

٢- عن قرة بن إياس المزني رضي الله عنه: «أنَّ رجلاً أتى النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم، ومعهُ ابنٌ لَهُ فقالَ لَهُ: أتحبُّهُ؟ فقالَ: أحبَّكَ اللَّهُ كما أحبُّهُ، فماتَ، ففقدَهُ، فسألَ عنهُ، فقالَ: ما يسرُّكَ أن لا تأتيَ بابًا من أبوابِ الجنَّةِ إلاَّ وجدتَهُ عندَهُ يسعَى يفتحُ لكَ» (رواه النسائي، وصححه الألباني).

وجه الدلالة: قال البيهقي رحمه الله في " الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ": «ذلك فيمن وافى أبويه يوم القيامة مؤمنين أو أحدهما، فيلحق بالمؤمن ذريته، كما جاء به الكتاب، ويستفتح له، كما جاءت به السنة، ويحكم لها بأنها كانت ممن جرى له القلم بالسعادة» اهـ.

٣- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «جاءَتِ امْرَأَةٌ إلى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَقالَتْ: يا رَسولَ اللهِ، ذَهَبَ الرِّجالُ بحَدِيثِكَ، فاجْعَلْ لَنا مِن نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فيه، تُعَلِّمُنا ممَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، قالَ: اجْتَمِعْنَ يَومَ كَذا وكَذا فاجْتَمَعْنَ، فأتاهُنَّ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَعَلَّمَهُنَّ ممَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قالَ: ما مِنْكُنَّ مِنِ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بيْنَ يَدَيْها، مِن ولَدِها ثَلاثَةً، إلَّا كانُوا لَها حِجابًا مِنَ النَّارِ فَقالَتِ امْرَأَةٌ: واثْنَيْنِ، واثْنَيْنِ، واثْنَيْنِ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ: واثْنَيْنِ، واثْنَيْنِ، واثْنَيْنِ. وفي رواية: ثَلاثَةً لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ» (رواه مسلم).

وجه الدلالة: من المستحيل عقلا أن يكون هؤلاء الأطفال حجابا للأم من النار وهم فيها، فلزم من ذلك أن يكونوا في الجنة ليحموها من النار.

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يمُوتُ لمُسلم ثلاثةٌ من الولد، فيلجَ النَّار، إلاَّ تحلَّةَ القَسَم. قال أبو عبد الله: «وإن منكُم إلاَّ واردُها» (مريم: ٧١) (رواه البخاري).

٥- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من النَّاس من مُسلم، يُتوفَّى له ثلاثٌ لمْ يبْلُغوا الحنْث، إلاَّ أدخلَهُ اللَّهُ الجنَّة بفضْل رحْمته إيَّاهُم» (رواه البخاري).

٦- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «لمَّا تُوفِّيَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ، قال رسولُ اللَّه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم: إنَّ له مُرْضعًا في الجنَّة» (رواه البخاري).

قال ابن عبد البر رحمه الله في " التمهيد ": «في هذه الأحاديث دليل على أن أطفال المسلمين في الجنة لا محالة- والله أعلم- لأن الرحمة إذا أنزلت بآبائهم من أجلهم استحال أن يرحموا من أجل من ليس بمرحوم، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «بفضل رحمته إياهم»» اهـ.

وقال النووي رحمه الله في " شرح مسلم ": «هذه الأحاديث دليل على كون أطفال المسلمين في الجنة» اهـ.

وقال ابن القيم رحمه الله في " أحكام أهل الذمة ": «هذه الأحاديث أكثرها في الصحيح، وكلها صحيحة، وهذا القول في أطفال المسلمين هو المعروف من قواعد الشرع، حتى إن الإمام أحمد أنكر الخلاف فيه، وأثبت بعضهم الخلاف، وقال: إنما الإجماع على أولاد الأنبياء خاصة» اهـ.

### شبهة والرد عليها:

### الشبهة:

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عائشة أن تشهد للصبي الذي توفي بالجنة، فدل على أنه لا يجوز الشهادة لمن مات من أطفال المسلمين بالجنة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «تُوفِّيَ صبيٌّ،

فقلتُ: طُوبَى له عُصْفُورٌ من عصافير الجنَّة، فقال رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: أَوَلَا تَدْرِينَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الجنَّةَ وَخَلَقَ النَّارَ، فَخَلَقَ لهذه أَهْلاً وَلِهَذِه أَهْلاً» (رواه مسلم).

وفي رواية: «دُعِيَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ إلى جَنَازَة صَبِيٍّ مِنَ الأَنْصار، فقُلتُ: يا رَسُولَ الله، طُوبَى لهذا، عُصْفُورٌ من عَصافير الجَنَّة لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قال: أَوَ غَيرَ ذلكَ، يا عائشَةُ إنَّ اللَّهَ خَلَقَ للجَنَّةِ أَهْلاً، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلابِ آبائهم، وَخَلَقَ للنَّارِ أَهْلاً، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلابِ آبائهم» (رواه مسلم).

### الرد عليها:

أجاب العلماء على هذه الشبهة بأن النبي صلى الله عليه وسلم لعله نهى عائشة رضي الله عنها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع، فإنكار النبي- صلى الله عليه وسلم- على عائشة- رضي الله عنها- إنما كان لشهادتها للطفل المعين بأنه في الجنة، كالشهادة للمسلم المعين، فإن الطفل تبع لأبويه، فإذا كان أبواه لا يشهد لهما بالجنة، فكيف يشهد للطفل التابع لهما؟!، والإجماع إنما هو على أن أطفال المسلمين من حيث الجملة مع آبائهم، فيجب التفرقة بين المعين والمطلق.

### أقوال أهل العلم في مصير أطفال المسلمين:

قال ابن كثير- رحمه الله- في " تفسيره ": «فأما ولدان المؤمنين فلا خلاف بين العلماء كما حكاه القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي عن الإمام أحمد أنه قال: لا يختلف فيهم أنهم من أهل الجنة. وهذا هو المشهور بين الناس (أي عامة العلماء) وهو الذي نقطع به إن شاء الله عز وجل» ا.هـ

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «من يشك أن أولاد المسلمين في الجنة؟!، وقال أيضا: إنه لا اختلاف فيهم» أ.هـ (حاشية ابن القيم على سنن أبي داود).

وقال الإمام النووي- رحمه الله- في " شرح مسلم ": «أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة؛ لأنه ليس مكلفا» اهـ.

وقال القرطبي رحمه الله في " التذكرة ": «إن قول إنهم في الجنة هو قول الأكثر، وقال: وقد أنكر بعض العلماء الخلاف فيهم» اهـ.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالي

والحمد لله رب العالمين.

## عزاء واجب

تُوفي إلى رحمة الله والد الأستاذ /عاطف فواد، مدير حسابات المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، وتتقدم أسرة تحرير المجلة بخالص العزاء للأسرة الكريمة، ونسأل الله أن يغفر له ويرحمه رحمة واسعة، وأن يدخله فسيح جناته، وأن يرزق أهله الصبر والسلوان. لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى.

## عزاء واجب

تُوفي إلى رحمة الله الشيخ /محمود أحمد بخيت، مؤسس ورئيس فرع أنصار السنة المحمدية بمديرية التحرير مركز بدر البحيرة، وتتقدم أسرة تحرير المجلة بخالص العزاء لأسرة الشيخ، ونسأل الله أن يغفر له وأن يرحمه رحمة واسعة، وأن يدخله فسيح جناته، وأن يرزق أهله الصبر والسلوان.

لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى.

مجلة

# التوحيد

إعلانك على موقع التوحيد يحقق لك :

التميز الانتشار الربح

## بادر بحجز إعلانك على موقع التوحيد

مفاجأة عند إعلانك لمدة شهر تحصل على شهر مجاناً

٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة ت : ٠١٠٠١٩١٨١٦٢

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٨ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

# مفاجأة

## سعر الكرتونة

# ٩٢٠ جنيه مصري بدلا من ١١٧٠

هدايا قيمة

# لأول ١٠٠ من المشتركين

**صدر حديثًا مجلد عام ١٤٤١ بسعر ٦٥ جنيهًا للنسخة**

**يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا بدلا من ٤٠ جنيهًا**

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513